البابا شنوده الثالث

لماذا نرفض المطهر..؟؟؟

البابا شنودة الثالث

لماذا نرفض



Why we reject
The Purgatory

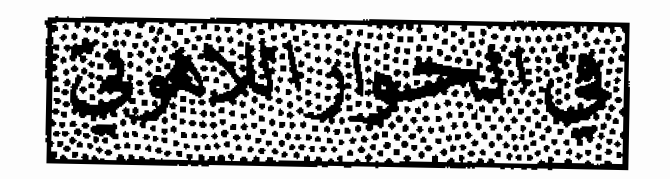
By H. H. Pope Shenouda III

الطبعة الأولى
أكتوبر ١٩٨٨
القاهرة

1st print
Oct. 1988
Cairo



قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث



مقدمة

هذا الكتاب نقدمه فى صراحة ومحبة ، كجزء من الحوار اللاهوتى ، مع أخوتنا الكاثوليك ...

لقد بدأ حوارنا الأول معهم فى سبتمبر سنة ١٩٧١م، قبل أختيارى للبطريركية بشهرين . وكان حواراً نظمته جماعة Pro - Oriente فى ڤينا التى يشرف عليها الكاردينال كينج . وقد حضرت هذا الحوار كأسقف للتعليم ، ومعى الأب الموقر القمص صليب سوريال ، ممثلين عن الكنيسة القبطية ، مع مندوبين آخرين من رجال اللاهوت عن باقى أخوتنا الأرثوذكس من السريان والأرمن والأحباش والهنود .

وخرجنا من ذلك الحوار الذى دار حول طبيعة المسيح بوثيقة مشتركة .

وثيقة تحمل إيماناً مشتركاً فى هذا الموضوع الخطير الذى كان سبب الإنقسام منذ سنة ٤٥١م حتى الآن . وكنت أنا - بنعمة الله - الذى أقترحت كلمات هذه الوثيقة ، ووافق عليها الجميع من كاثوليك وأرثوذكس . ثم توالت أجتماعات جماعة Pro - Oriente .. ولكن قراراتها كانت تمثل أتفاقات بين اللاهوتيين ، وليست أتفاقاً رسمياً على مستوى رئاسة الكنائس ...

ثم أقيم اجتماع آخر رسمى بيننا وبين الكاثوليك فى دير القديس الأنبا بيشوى بتاريخ فبراير سنة ١٩٨٨م ، تمت الموافقة على نفس وثيقة Pro - Oriente ــ بصفة رسمية .

واجتزنا مرحلة ، وبقيت مراحل أخرى ...

بقى أمامنا الحوار فى موضوعات : المطهر والغفرانات ، وأنبثاق الروح القدس ، والحبل بلا دنس ، ومسائل أخرى خاصة بالقديسة العذراء مريم ، ومركز كنيسة رومه . وأمور أخرى خاصة بالطلاق ، وبالزواج المشترك ، وبالصوم ، وبالقوانين الكنسية ... إلخ .

وحددنا دورة أخرى للحوار من ٣ إلى ٩ أكتوبر بدير القديس الأنبا بيشوى لمناقشة موضوعين هما المطهر ، وأنبثاق الروح القدس .

وكان لابد لكل طرف أن يقدم عقيدة كنيسته فى هذا الموضوع . لذلك رأيت أن أضع هذا الكتاب ليمثل عقيدة كنيستنا . والأسباب التى من أجلها ترفض عقيدة المطهر ، وما يلحق بها من غفرانات ... وهى عقيدة حديثة ، لم تكن من عقائد الكنيسة قبل الإنقسام . وقد أعترف بها مجمع فلورنسا الكاثوليكى سنة ١٤٣٥م .

وقد وضعت أمامى أهم المراجع العربية الموجودة فى المكتبات لعدة أسباب منها :

١ - أنها هى التى ينتشر تعليمها فى مصر والشرق العربى .

٢ - وهى التى يعلمونها لأولادنا فى المدارس .

٣ - وهى التى يقرؤها الناس ، من الذين لا يقرأون اللاتينية ولا الفرنسية .

٤ - وهى التى يرى الشرقيون أنها تعبر عن الإيمان الكاثوليكى .

٥ - ولأنها كتب صادرة بتصريح من رؤساء الكنائس الكاثوليكية فى الشرق .

٦ - ولأن بعض هذه الكتب تعرض لعقائد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، محاولين اثبات عقيدة المطهر من كتبها الطقسية .

وكان أيضاً لابد أن نوضح عقيدة المطهر ، حتى لا نسبب عثرة فى إيمان أولادنا الأرثوذكسي . وأيضاً لكى نقدم وجهة نظرنا اللاهوتية فى هذا الموضوع ، إلى جوار لزومه للحوار اللاهوتى .

وقد سلكنا فى هذا الكتاب بطريقة موضوعية بحتة . فتعرضنا أولاً لما يعتقده أخوتنا الكاثوليك فى موضوع المطهر، من واقع كتبهم... ثم ناقشنا ما ورد فى هذه الكتب من الناحية اللاهوتية البحتة . ومواجهتها بالإيمان المسيحى المعترف به من جميع الكنائس، وبخاصة فى موضوعات الخلاص والكفارة والفداء وهى نقاط أساسية جوهرية فى العقيدة المسيحية . ثم طرقنا أيضاً موضوعات المغفرة والدينونة، والتطهير والتكفير... مع أمور أخرى .

كان لابد أن نعرض الفكر اللاهوتى السليم أولاً . وبعد الرسو على قواعد لاهوتية ثابتة، نبدأ فى مناقشة مفاهيم النصوص .

وتناولنا كل النصوص المستخدمة وناقشنا المفهوم منها ودلالاته . علماً بأن كلمة (المطهر) لم ترد فى الكتاب المقدس كله . وبالتالى لم ترد فى كل تفاسير الآباء الأول للكتاب .

ولى نصيحة أقدمها لأخوتى الكاثوليك بكل حب، ومن عمق أعماق قلبى، وبضمير صالح أمام الله (عب ١٣ : ١٨) (أع ٢٣ : ١)، ومن أجل خيرهم...

نقوا الكتب العربية التى كتبت عن المطهر . وإثبات ذلك ما ورد فى هذا الكتاب . وإن كان هناك أعتقاد جديد بخصوص المطهر، أرجو أن تنشروه باللغة العربية، ومن سلطة كنسية .

وشكـراً ...

وأنا مستعد أن أصدر كتاباً آخر عن المطهر، إن أردتم ...

ولو أننى أرى - الآن - أن هذا يكفى ... ،،،

البابا شنوده الثالث

١٩٨٨/٩/٢٧م (عيد الصليب)

لماذا نرفض

الفصل الأول

عقيدة إخوتنا الكاثوليك

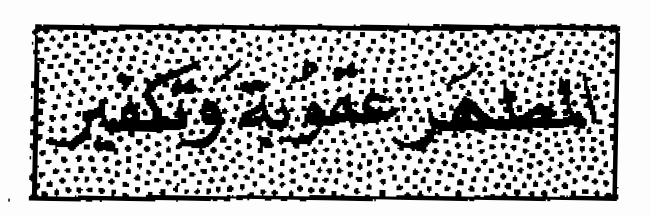
ما هو المطهر؟

هو فى أعتقاد الكاثوليك حالة ، أو هو مكان ، أو هو حالة ومكان...

هو نار ، وعذاب ، وحبس ، واعتقال . هو عقوبات ، ووفاء قصاص ، وعملية تكفير...

وسببه هو أن توفى النفس للعدل الإلهى ، الديون التى غادرت النفس هذا العالم وهى مثقلة بها .

سواء كانت هذه الديون ، هى جرم الخطايا العرضية ، أو بقايا أو آثار الخطايا المميتة المغفورة من جهة الذنب ، وليس من جهة العقوبة .



و يعرّف أخوتنا الكاثوليك المطهر ، بأنه مكان وحالة للتطهير بواسطة عقوبات زمنية .

وقد حدّد مجمع ليون ومجمع فلورنس «أن الذين يخرجون من هذه الحياة ، وهم نادمون حقيقة وفى محبة الله ، لكن قبل أن **يكفروا عن خطاياهم** وإهمالاتهم بأعمال توبة وافية ، تتطهر نفوسهم بعد الموت **بعقوبات مطهرة**» .

[مجمع ليون ، ومجمع فلورنس] ([1]) .

يقسم أخوتنا الكاثوليك العذاب إلى نوعين :

أ ـ عذاب الخسران ، أو عذاب الحرمان . «وهو الحرمان من رؤية الله والتمتع به . ولكن هذه العقوبة تقترن دائماً بالثقة الوطيدة فى السعادة الأخيرة [بعد

المطهر] . لأن الموتى فى المطهر يعرفون أنهم أبناء الله وأصدقاؤه . و يتوقون إلى الاتحاد به اتحاداً صميمياً . فيزيدهم شعورهم هذا ألماً بهذا الفراق المؤقت » (١) .

والعذاب الآخر هو عذاب الحواس . ويجمع علماء اللاهوت على أن عذاب الحواس يضاف إلى عذاب الحرمان (١) .

وهنا تبدأ مناقشة مشكلة (النار) والخلاف حولها ...

وقد ورد فى كتاب (اللاهوت النظرى) إن « النفوس المعتقلة فى المطهر تكابد عذاب الخسران بفقدانها الخير الأعظم . ولكن هذا العذاب لا يسقطها فى اليأس ، لأنها ترجو الفوز يوماً ما بالسعادة السماوية » (٣) .

« وفوق ذلك أنها تقاسى عذاب الحس كما يستدل عليه من أقوال الآباء ومن كلام المجمع الفلورنتينى الذى قال عن هذه النفوس « إنها تطهر بالعذابات » (٣) .

وجاء فى قرارات مجمع ترنت (جلسة ١٤ فصل ٨) :

« التائب يتكبد تلك القصاصات ، لكى يفى عدل الله الذى أهانه بخطاياه » .

ورد فى كتاب اللاهوت النظرى :

العقاب الزمنى الذى تستوجبه الخطايا المرتكبة بعد المعمودية ، لا يترك بمحو الذنب ... والحال أنه كثيراً ما يتفق أن يموت البعض مثقلين بخطايا عرضية ، وأن بعض الصالحين **يموتون قبل أن يتمموا وفاء ما يلزمهم من الكفارة** عن العقاب الزمنى المرتب على الخطيئة المميتة . فما الحكم على مثل هؤلاء :

أأنهم يهلكون ، ولكن هذا مناف للصواب ؟! أم أنهم يفوزون بالغبطة السماوية وهم ملطخون بالدنس ، وهذا أيضاً بعيد عن المعقول ؟! أم أنهم بمجرد

(١) مختصر فى علم اللاهوت العقائدى جـ٢ ص ١٥٠ ، ١٥١ .

(٣) اللاهوت النظرى لالياس الجميل جـ٢ ص٤٩٨ .

(٢) مختصر فى علم اللاهوت العقائدى - جـ٢ ص١٥١ ، ص١٥٢ .

* اللاهوت النظرى - لالياس الجميل جـ٢ ص٤٩٧ .

موتهم ينقون من كل إثم. وهذا ما لا دليل عليه ؟! بقى إذن التسليم بأنه يوجد بعد الموت حال غير ثابتة فيها تطهر النفوس من كل دنس قبل دخولها فردوس الأبرار وهذه الحال هى المطهر*.



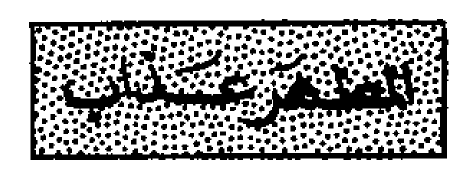
وقد حدث اختلاف فى طبيعة هذه النار : هل هى نار مادية أم لا . **«فالآباء اللاتين يقولون إنها نار فيزيقية (طبيعية)»**. ويقول كذلك العديد من علماء اللاهوت الحديثين، معتمدين على ما ورد فى (١كو٣: ١٥).

ولكن الاعلانات الرسمية الصادرة عن المجامع ، التى أثارها اليونان الأرثوذكس المنكرون لوجود نار مطهرة، تتكلم فقط **عن عذابات مطهرة، لا عن نار مطهرة** (٢).

الآباء اللاتين أخذوا النار على المعنى الحرفى. وقالوا بأنها نار فيزيقية للتطهير، جعلت **لتمحو الخطايا العرضية التى لم يكفر عنها**.

وقد ورد فى كتاب (اللاهوت النظرى) :

« أما القول بوجود نار حقيقية فى المطهر ، فهو رأى كثير الاحتمال، لإجماع اللاهوتيين عليه ، ولأن كثيراً من الآباء قالوا به . إلا أنه ليس إيمانياً » (٣).



يتحدث المجمع التريدنتينى عن «عذاب زمنى يجب على الخاطىء التائب وفاؤه، فى هذا العالم، أو فى الآتى فى المطهر، قبل أن يفتح له طريق الملكوت السماوى».

[الجلسة ٦ ـ قانون ٣] .

وقيل فى كتب الكاتشيزم ، فى كتاب التعليم المسيحى الذى أصدرته الرابطة الكهنوتية ببيروت ـ المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٦٤م.

٤١١ ـ ما مصير النفس بعد الموت ؟

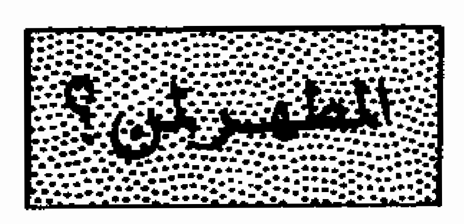
بعد الموت تمثل النفس أمام الخالق ، لتؤدى حساباً عن أعمالها . وهذه هى الدينونة الخاصة . وفى بند ٤١٤ يعقب الدينونة الخاصة الجزاء العادل .

٤١٧ ـ هل تدخل النفس البارة السماء حالاً بعد الدينونة ؟

إن النفس البارة بعد الدينونة الخاصة ، غالباً تدخل المطهر ، وهو عذاب أليم ، به تفى النفس ما تبقى عليها من عقاب زمنى .

هذا هو ما يتعلمه أولادنا فى المدارس الكاثوليكية عن المطهر...

ويقول الأب لويس برسوم فى كتابه (المطهر) ص٥ عن العذابات الجهنمية « المقصود هنا بالعذابات الجهنمية ، كما لا يخفى ، هو العذابات المطهرية التى لا فرق بينها وبين العذابات الجهنمية ، إلا فيما عدا أن الأولى دائمة والثانية مؤقتة » !!



يقسم أخوتنا الكاثوليك كل البشر إلى ثلاثة أنواع :

أ ـ نوع بار كامل صالح ، وهذا يذهب إلى السماء ، مباشرة بعد الموت .

ب ـ نوع شرير . وهذا يذهب مباشرة إلى جهنم .

ج ـ نوع ثالث مؤمن ، وبار ، ومحب لله . ولكن عليه للعدل الإلهى ديوناً لم يقم بوفائها بعد . وهذا يذهب إلى المطهر . وهذا النوع يشمل غالبية البشر.

وهذه الديون إما بسبب الخطايا العرضية التى لم يقدم عنها توبة ، أو فاجأه الموت قبل التوبة . أو بسبب خطايا مميتة تاب عنها ، وغفرت له ، ونال الحلّ

عنها . ولكنه مات قبل أن يوفى حسابها من العقوبة .

وقد حدد مجمع ليون ومجمع فلورنس «أن الذين يخرجون من هذه الحياة ، **وهم نادمون حقاً ، وفى محبة الله ، ولكن قبل أن يكفروا عن خطاياهم وإهمالاتهم بأعمال توبة وافية** ، تتطهر نفوسهم بعد الموت بعقوبات مطهرة» ([1]) .

وفى شرح هذه الأنواع الثلاثة قال الأب لويس برسوم فى كتابه (المطهر) :

« وإنه طبقاً لهذه الدينونة الخاصة ، لا الدينونة العامة ، يتقرر مصير الإنسان الأبدى : فإن كان صالحاً كل الصلاح ، يذهب تواً إلى السماء كلعازر المسكين الذى نقلته الملائكة إلى أحضان ابراهيم» (لو١٦ : ٢٢) .

« وأما إذا كان شريراً الشر كله ، فإنه يذهب إلى جهنم النار ، مثل ذلك الغنى الذى يذكره القديس لوقا فى (١٦ : ٢٤) » .

أما إذا كان بَينَ بَينْ ، أى لا صالحاً الصلاح كله ، ولا شريراً الشر كله ، كما هى الأغلبية الساحقة من بنى البشر ، فإنه يذهب إلى المطهر ، إلى ما شاء الله أو بالحرى كما يقول الإنجيل «حتى يوفى آخر فلس» عليه للعدالة الإلهية (متى ٥ : ٢٦) .

ثم يعود المؤلف ليشرح فكره « بتعبير آخر » فيقول :

« من مات وهو فى حالة « النعمة المبررة » وليست عليه أية ديون نحو العدل الإلهى يفى بها ، كالطفل المعمد مثلاً ، فإنه يذهب إلى السماء مباشرة ، حيث يعاين الله وجهاً لوجه إلى الأبد (١كو١٣ : ١٢) » .

« وأما إن مات مجرداً من حلة العرس « النعمة المبررة » (راجع متى ٢٢ : ١ - ١٤) أى من كان ضميره مثقلاً بوزر الخطية المميتة التى لم يتب عنها ، فإنه يذهب من فوره إلى عذاب اللهيب الأبدى » .

« وأما من فارق الحياة ، وهو فى حالة النعمة المبررة ، ولكن ضميره كان مثقلاً ببعض الخطايا ، مما يغفر فى الدهر الآتى ، فإنه يذهب إلى المطهر لينال مغفرة تلك الخطايا ، لا بالحلّ منها كما فى سر التوبة ، بل بالحلّ منها عن

طريق تطهيره بنار المطهر» (٤) .

و يقول نفس المؤلف أيضاً فى نفس كتابه ص١٣ عن حالة النفس عند الموت : « وأما إذا كانت مذنبة بذنوب عرضية ، ومن ثم فى حاجة إلى تطهير، فإنها تحت وقر هذه الذنوب ، تحس بحالة من الإنسحاق ، بحيث أنها تنحدر إلى المطهر من تلقاء ذاتها » .

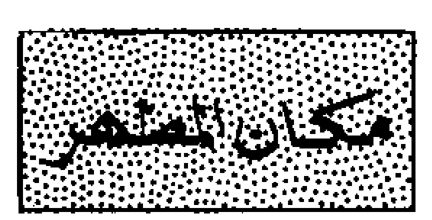
أما متى تنتهى العقوبة فى المطهر ، فيقول المؤلف فى ص٢١ :

« حتى إذا ما تطهرت النفس تماماً من كل شائبة خطية ، وأوفت ما تبقى عليها من قصاصات زمنية مرتبة على خطاياها المميتة المغفورة ، أدخلت من فورها إلى السماء ، مقر الطوباويين من الملائكة والقديسين » .

و يقول نفس المؤلف فى ص٢١ أيضاً تعليقاً على قول السيد المسيح إن التجديف على الروح القدس لا مغفرة له فى هذا الدهر ، ولا فى الدهر الآتى (متى ١٢ : ٣٢) . يقول : معنى ذلك أن هناك من الخطايا ما يغفر فى الدهر الآتى .

فإذا سألت : **«ما هى الخطايا التى تغفر فى الدهر الآتى ؟» ... أجبتك أنها الخطايا غير الثقيلة ، أى الخطايا العرضية ، كالخطايا التى تصنع دون معرفة كاملة ، أو دون إرادة كاملة ، وكخطايا السهو وما إلى ذلك .**

ويخلص من ذلك أن هذه الخطايا عقوبتها فى المطهر (ص٢٢) . ذلك « لأن الخطايا الثقيلة ، لما كان عقابها جهنم ، وجهنم هى أبدية ، إذن فهى غير قابلة للمغفرة فى الدهر الآتى» (ص٢١) .



ورد فى كتاب (اللاهوت النظرى) :

« وأما ما يتعلق بمكان المطهر ، فغير محقق . وقد أرتأى القديس توما أنه **فى أسفل الأرض حيث هى جهنم** ، بحيث أن النار التى تعذب الهالكين فى جهنم ، هى عينها تطهر الصالحين فى المطهر» (٤) .

الأب لويس برسوم يسمى المطهر « السجن المؤقت » (ص٢١) .

وهو يحاول أن يثبت أن المطهر هو السجن ، من قول الرب « كن سريعاً فى مراضاة خصمك مادمت معه فى الطريق ، لئلا يسلمك الخصم إلى القاضى ، ويسلمك القاضى إلى الشرطى ، فتلقى فى السجن » (متى ٥ : ٢٥ ، ٢٦) .

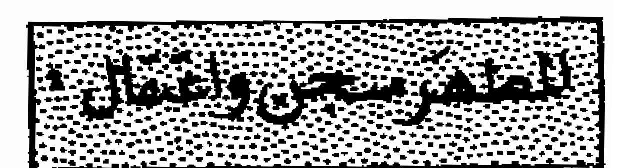
ويقول عنه أيضاً إنه « مكان الألم والكآبة والتنهد » (ص٢٢) .

ومن العجيب أن الأخوة الكاثوليك فى محاولة لأثبات وجود المطهر من آيات الإنجيل ، أعتمدوا على قول الرسول «لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة مما فى السماوات وما على الأرض وما تحت الأرض» (فى ٢ : ١٠) .

فقال الأب لويس برسوم فى كتابه (المطهر) ص ٢٦ .

« ولكن من هم الذين يجثون بإسمه تحت الأرض ؟ ترى ، هل هم الهالكون الذين فى جهنم ؟ كلا بالطبع ــ » .

وإذن فلا مفر من الاعتقاد بأن الذين تجثو لإسم يسوع ركبهم تحت الأرض ، هم النفوس المنتقلة إلى الحين ، فى ذلك المكان الواقع فى باطن الأرض و والذى أعده الله لتطهير الذين ينتقلون من عالمنا إلى العالم الآخر ، ولا تخلو نفوسهم من بعض الشوائب والعيوب ، التى تحرمها مؤقتاً من دخول السماء . والنتيجة هى ـشئنا أم أبيناـ فلابد من التسليم بوجود المطهر» !!



إذن هنا تعليم بأن المطهر هو سجن تحت الأرض ، فى باطن الأرض ، يذهب إليه الذين لهم بعض الشوائب ليتطهروا ...

وتعبير السجن أو الاعتقال قرره مجمع تريدنت للكاثوليك :

الذى قرر فى جلسته الخامسة والعشرين أنه « لما كانت الكنيسة الكاثوليكية

التى يرشدها الروح القدس ، قد علمت فى مجامعها المقدسة ، وحديثاً فى هذا المجمع المسكونى بأن **ثمة مطهراً ، وبأن النفوس المعتقلة فيه** تُساعد بصلوات المؤمنين ولاسيما بذبيحة المذبح الكفارية ، فإن هذا المجمع يوصى الأساقفة بأن يهتموا الاهتمام كله بأن يؤمن المؤمنون بهذا التعليم الصادق عن المطهر... » .

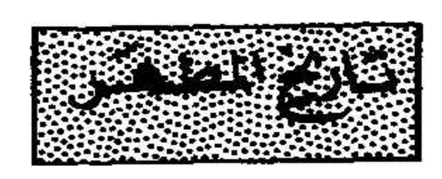
٥ - الأب لويس برسوم : المطهر ص ٣٩ ، ٤٠ .

وقيل فى تعريف المطهر أيضاً إنه :

« حبس يدعى نار المطهر ، تتعذب فيه أنفس الأتقياء إلى زمان معين ومحدود ، وتتطهر لكى تقدر أن تدخل الوطن السماوى وبلادها الأبدية ، التى لا يدخل إليها شيء نجس » .

« تذهب إليه نفوس الأبرار بعد الموت : إما لتتطهر من خطاياها الطفيفة ، أو لتوفى عن قصاصات الخطايا المغفورة ، إن لم تكن قد وفت عنها وهى على الأرض » .

وقيل عن المطهر أيضاً « يدخل إليه جميع الذين يموتون فى الكنيسة الكاثوليكية ، ولكنهم لم يوفوا بعد قصاص خطاياهم الزمنى بكماله ، بحسب قانون سر التوبة . وهو مكان عذاب » .



الكتاب المقدس كله ، من أول سفر التكوين إلى آخر سفر الرؤيا ، لا تجد فيه عبارة المطهر ، لا فى العهد القديم ، ولا فى الإناجيل ولا فى الرسائل ، ولا في أي سفر من الأسفار . فمتى عرفت هذه العبارة ؟!

يقول الأب لويس برسوم الفرنسيسكانى فى كتابه (المطهر

« وأما الذى قرر أن يسمى « مكان تطهير النفوس » با

بناء على التقليد الشائع وقتذاك وسلطة الآباء القديسين ،

الرابع فى خطاب له لأسقف توسكولو (مدينة بجوار رومه) **بتاريخ ٦ مارس سنة ١٢٥٤** أى فى منتصف القرن الثالث عشر. وهنا نسأل :

ما هى المجامع الكاثوليكية التى قررت المطهر :

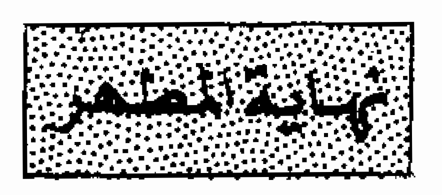
يجيب نفس المؤلف فى صفحة ٣٩ من كتابه :

« هذه العقيدة حددها كل من مجمع لاتران المسكونى سنة ١٢١٥ ، ومجمع ليون المسكونى (١٢٧٤) ومجمع فلورنسا المسكونى (١٤٣١)و ومجمع تريدنت المسكونى (١٥٤٥ - ١٥٦٣) . وأيدها تأييداً كاملاً آخر مجمع مسكونى ، ألا وهو مجمع فاتيكان الثانى بقوله «إن هذا المجمع يتقبل ، بعمق التقوى ، إيمان أجدادنا المبجل ، الخاص بهذه الشركة الحيوية القائمة بيننا وبين أخوتنا الذين وصلوا إلى المجد السماوى ، أو الذين لا يزالون يتطهرون بعد موتهم » .

من هنا نرى أن عقيدة المطهر لم تقرر عند الكاثوليك إلا فى القرن ١٣ ، وتثبتت عندهم فى القرن ١٥ .

وقد عارضها جميع الأرثوذكس فى العالم ، سواء الكنائس الأرثوذكسية القديمة ، التى رفضت مجمع خلقدونية سنة ٤٥١م ، أو الكنائس الأرثوذكسية البيزنطية التى رفضت أنبثاق الروح القدس فى القرن الحادى عشر ، أو الكنائس البروتستانتية التى رفضت أموراً عديدة جداً منذ القرن ١٥ .

وأصبحت الكاثوليكية - فى قضية المطهر - تواجه كل هؤلاء .



يرى أخوتنا الكاثوليك أنه لا بقاء للمطهر بعد الدينونة العامة .

فقد ورد فى كتاب (مختصر فى علم اللاهوت العقائدى) الجزء الثانى ص١٥٣ ، ١٥٤ .

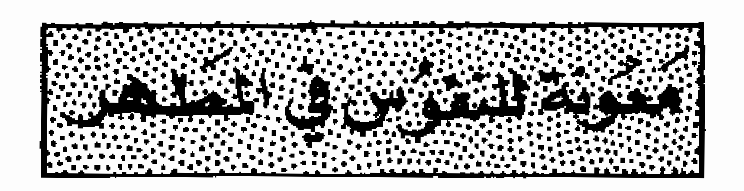
لن يدوم المطهر إلى ما بعد الدينونة العامة (قضية عامة).

« بعد ما يصدر الديان الأعظم حكمه (متى ٢٥ : ٢٤ ، ٤١) ، لن يكون غير السماء والجحيم » .

« أما المدة المحددة للامتحان المطهر ، فلا سبيل إلى معرفته لكل نفس بمفردها ، ويقول أيضاً « يدوم المطهر لكل نفس إلى أن تتطهر من كل إثم وعقاب وعندئذ تدخل مطهرة إلى النعيم السماوى » .

وورد فى كتاب اللاهوت النظرى لالياس الجميل ص ٤٩٨ :

« **إنه من المحقق أيضاً أن المطهر لا يتجاوز يوم الدينونة الأخيرة . وأن** العذابات فيه تختلف شدة وخفة باختلاف الخطايا التى تكفر النفوس فيه عنها » .



وسط العذابات التى يكابدها المعتقلون فى المطهر ، تعلم الكنيسة الكاثوليكية بأن هؤلاء يعانون بصلوات المؤمنين ، وبتقديم ذبيحة الأفخارستيا المقدسة . وبالأعمال الصالحة التى للمؤمنين ، كالاحسانات

هناك معونة أخرى من القديسة العذراء ، التى يلقبها الكاثوليك بسيدة المطهر.

وقيل أيضاً إن البابا له سلطانٍ علي تخفيف العقاب .

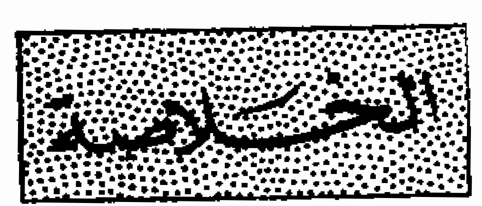
وقيل إن النفوس التى فيه تعان بصلوات الأنبياء ، ولاسيما بذبائح المذبح المرضية .

وعن الذين يدخلون المطهر ، ورد فى معجم اللاهوت الكاثوليكى ، الذى ترجمه المطران عبده خليفة ، عن المطهر ص٣٢٣ :

« فرض هذا المفهوم منذ العصور الوسطى ، ليدل على مراحل التطهير...

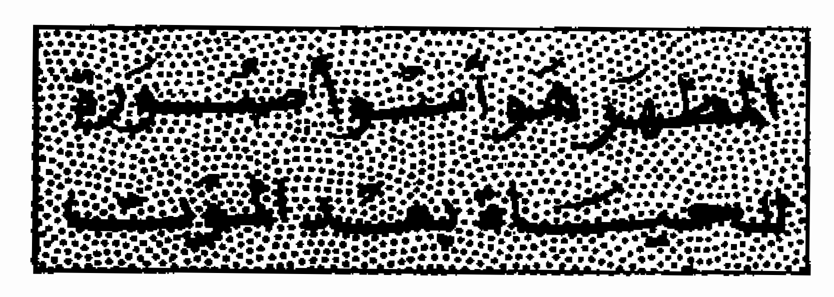
والإنسان يخضع لهذه المراحل التطهيرية، إذ يموت مبرراً بالنعمة، بمقدار ما تكون حالة «العقاب» المستحق لا تزال موجودة فيه. **ولم تزل بزوال الخطايا بالغفران يوم التبرير».**

ويقول « يجب أن لا تمنعنا كلمة المطهر من أن نجد كلمة أصح وأحسن لتدل على هذه المراحل التى نوهنا عنها. علماً بأن النظريات النفسانية والتربوية لا تحبذها كثيراً (وهذه الملاحظة تنطبق خاصة على الكلمة الألمانية **Fegfeuer** التى تعنى حرفياً: النار المطهرة (ملاحظة المترجم).



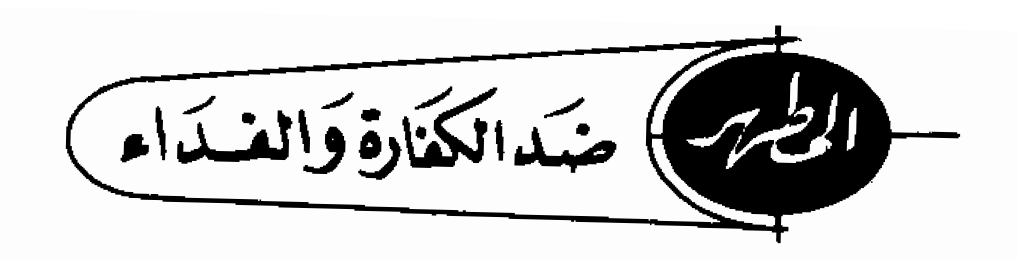
إن المطهر مكان عذاب، وعذاباته تشبه عذابات جهنم.
وهو مكان سجن واعتقال، ويوجد تحت الأرض، كالهاوية.
وهو نار، أياً كان نوع هذه النار...
وهو للقصاص، حتى للخطايا المغفورة.
ويدخله الغالبية العظمى من البشر، الأبرار الأتقياء، من محبى الله وأولاده... حتى من أجل السهوات والهفوات، والخطايا غير الإرادية، والتى بغير معرفة...

أتراه يعطى صورة عن عدل الله وقداسته، كما يقال ؟!
ولكنه لا يعطى صورة عن محبة الله، الذى أحب حتى بذل (يو ٣ : ١٦) ..
إن هذا هو المطهر



الفصل الثاني:

رفض المطهر من الناحية اللاهوتية



عجيب أننا نقرأ فى القرارات والشروحات الخاصة بالمطهر ، عبارة « يكفّر عن خطاياه » أو عبارة « يوفى ديونه تجاه العدل الإلهى » !!

بينما الكفارة هى عمل السيد المسيح وحده .
وهو وحده الذى وفى كل مطالب العدل الإلهى .

ولو كان الإنسان يستطيع أن يكفر عن خطاياه ، أو يوفى مطالب العدل الإلهى ، ما كانت هناك ضرورة أن الإبن يخلى ذاته ، ويأخذ شكل العبد ، ويتجسد ويصلب ويتألم ويموت ... !!

ما لزوم التجسد إذن ؟ وما لزوم الفداء ؟ وما الحكمة فيه ؟!

أساس عقيدة الكفارة والفداء ، أن الإنسان عاجز كل العجز عن إيفاء مطالب العدل الإلهى ... مهما فعل ، ومهما عوقب ، ومهما نال من عذاب ...

والآيات الكتابية الخاصة بكفارة المسيح كثيرة جداً ، منها :

(١يو ٢ : ١ ، ٢) « وإن أخطأ أحد ، فلنا شفيع عند الآب : يسوع المسيح البار. وهو كفارة لخطايانا ، ليس لخطايانا فقط ، بل لخطايا كل العالم .

(١يو ٤ : ١٠) « ليس إننا نحن أحببنا الله ، بل أنه هو أحبنا ، وأرسل إبنه كفارة عن خطايانا » .

(رو ٣ : ٢٤ ، ٢٥) « متبررين مجاناً بنعمته ، بالفداء الذى بيسوع المسيح . الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه ، لإظهار بره ، من أجل الصفح عن الخطايا السالفة » .

الله هو الذى يكفر عنا . لذلك قيل فى المزمور :

« لك ينبغى التسبيح يا الله . معاصينا أنت تكفر عنها » (مز ٦٥ : ١ ، ٣).

نعم أنت ، وليس نحن . لأن الجزاء غير المحدود للخطايا ، لا يستطيع مطلقاً أن يوفيه الإنسان المحدود . ولو كانت العقوبة تصلح للتكفير، لكان الله قد أستخدم العقوبة بدلاً من أخلاء الذات والتجسد والفداء ...

الكفارة منذ العهد القديم ، تتعلق بالدم والموت ...

لذلك قيل فى الكتاب بكل صراحة « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » (عب ٩ : ٢٢) . وقال السيد المسيح نفسه لتلاميذه القديسين « هذا هو دمى الذى للعهد الجديد ، الذى يسفك من أجل كثيرين ، لمغفرة الخطايا » (متى ٢٦ : ٢٨) .

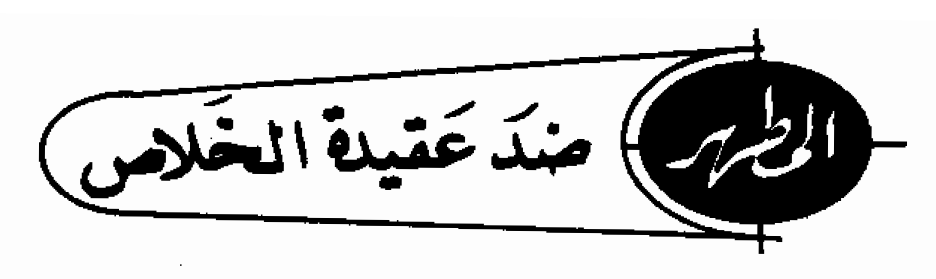
وهكذا كثرت الذبائح فى العهد القديم . وكانت كلها رمزاً للسيد المسيح . وكان دمها الذى يكفر به ، رمزاً لدم هذا المصلوب . وهكذا تنبأ اشعياء النبى قائلاً :

« كلنا كغنم ضللنا ، ملنا كل واحد إلى طريقه . والرب وضع عليه إثم جميعنا » (اش ٥٣ : ٦).

لاحظ عبارة « إثم جميعنا » . فمادام قد حمل آثام الكل ، فما معنى العقوبة فى المطهر ؟! أليس هو الذى حمل العقوبة ، كل العقوبة ، عنا . ودفع الثمن ، كل الثمن ، عنا « وهو مجروح لأجل معاصينا ، مسحوق لأجل آثامنا » (اش ٥٣ : ٥) .

نحن عاجزون عاجزون عاجزون عن إيفاء العدل الإلهى ، وسنظل عاجزين إلى أبد الآبدين . وتكفير الإنسان عن خطاياه بعقوبة أو نسك ، هو أمر مرفوض لاهوتياً .

لذلك نحن نرفض كل العبارة التى ترد فيها عقيدة المطهر عن إيفاء الإنسان للعدل الإلهى ، والتكفير عن خطاياه بعذابات ، أياً كانت مدتها ، وأياً كانت شدتها . لأن المطهر ضد عقيدة الخلاص . فالكفارة من عمل المسيح وحده .



فالخلاص هو بالدم فقط ، دم المسيح وحده ...

هذه هى عقيدة الفداء ، وهذه هى عقيدة مغفرة الخطايا فى المسيحية .

دم المسيح ، هو المطهر الوحيد الذى نؤمن به ، بالمعنى اللاهوتى السليم .

وهذا هو ما قاله القديس يوحنا الحبيب فى تطهيرنا . وليتنا نحفظ عبارته هذه الخالدة :

« دم يسوع المسيح إبنه يطهرنا من كل خطية » (١يو ١ : ٧) .

وعبارة (كل خطية) عبارة شاملة ، تشمل كل أنواع الخطايا التى يذكرها إخوتنا الكاثوليك : الخطايا العارضة ، والخطايا المميتة ... الخطايا الطفيفة ، والخطايا الثقيلة ... نعم ، يطهرنا من كل خطية . وكما قيل أيضاً « هو أمين وعادل ، حتى يغفر لنا خطايانا ، ويطهرنا من كل إثم » (١يو١ : ٩) .

الشرط الوحيد هو التوبة « إن اعترفنا بخطايانا » « إن سلكنا فى النور» (١يو١ : ٧ ، ٩) .

وهذا التطهير تعبر عنه آية أخرى وهى « غسلوا ثيابهم ، وبيضوا ثيابهم فى دم الحمل » (رؤ٧ : ١٤) . قال القديس يوحنا هذا عن « جمع كثير ، لم يستطع أحد أن يعده ، من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة » كانوا واقفين أمام العرش ومتسربلين بثياب بيض » (رؤ٧ : ٩) .

وعن هذا الدم ، قال القديس بولس الرسول « بل بدم نفسه ، دخل مرة واحدة إلى الأقداس ، فوجد فداءاً أبدياً » (عب٩ : ١٢) . وقال « إذ لنا فيه الفداء ، بدمه غفران الخطايا » (أف ١ : ٧) .

ولذلك اشترانا الرب بدمه الكريم . ولذلك غنى أمامه الأربعة والعشرون كاهناً فى سفر الرؤيا ، وقالوا له «اشتريتنا لله بدمك، من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة» (رؤ٥ : ٩، ١٠).

من أجل هذا نحب الصليب ، الذى عليه دفع ثمن خطايانا .

أما وجود المطهر ، فهو إهانة لعمل الصليب .

لذلك عجبت لأناس يكرمون الصليب ، و يؤمنون بالمطهر !!

نقول إنه على الصليب ظهر الحب الإلهى «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ..» (يو٣: ١٦).

فكيف يتفق هذا الحب مع عذاب المطهر عن السهوات والهفوات والخطايا المغفورة ؟!

* * *

لا شك أن الذين ينادون بالمطهر ، وبمفهوم وفاء الإنسان للعدل الإلهى...

إنما يقدمون للأسف عقيدة جديدة ، وهى المناداة بالخلاص الجزئى !

كما لو كان الخلاص الذى جاء به المسيح ، هو فقط خلاص من وصمة الخطية ، وليس خلاصاً من عقوبة الخطية !!... خلاصاً من الخطايا التى قام التائب بوفاء قصاصها، وليس خلاصاً من الخطايا التى لم يكمل القصاص عنها !!... أو قل كما لو كان المسيح قد قدم خلاصاً عن الخطية الجدية، ولم يقدم خلاصاً عن الخطايا الفعلية التى لابد أن نوفى عنها قصاصاً، سواء على الأرض أو بعد الموت !!

وهذا الخلاص الجزئى يقف ضده قول القديس بولس الرسول :

« فمن ثم يقدر أن يخلص إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله » (عب٧: ٢٥).

« يخلص إلى التمام » ... ما أجمل هذه العبارة فى الرد على المطهر. أى أنه خلاص تام كامل، ليست فيه على الإنسان بقية من قصاص... لقد دفع السيد المسيح الثمن كاملاً للعدل الإلهى، وشهد على الصليب قائلا «قد أكمل» (يو١٩ : ٣٠)... إذن ليس هناك نقص نكمله نحن فى وفاء العدل الإلهى...

إن المطهر وعذاباته ، إهانة صريحة لكمال كفارة المسيح !!!

وكأن (المعذبين فى المطهر) يصرخون إلى السيد المسيح قائلين : أين خلاصك ، وها نحن نتعذب ؟! أين الثمن الذى دفعته عنا ، وها نحن ندفع الثمن ؟! ما معنى قولك إذن لله الآب «والعمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته» (يو١٧ : ٤) ... ؟!

إن المطهر هو تناقض صريح مع بشرى الخلاص المفرحة !!

ما معنى أن مجد الرب أضاء ، ووقف ملاك الرب يبشر الرعاة بميلاد المسيح قائلاً «لا تخافوا، فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب . إنه ولد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب» (لو١ : ٩- ١١)... وكأنى باخوتنا الكاثوليك يعاتبون هذا الملاك قائلين :

« ما هو هذا الفرح العظيم الذى تبشرنا به ؟! وكيف لا نخاف ونيران المطهر وعذاباته تهددنا ، كأن لا خلاص ولا مخلص ؟!!...

وأين هذا الفرح العظيم الذى يكون لجميع الشعب ، مادامت عذابات المطهر تنتظره ؟! وهل يستطيع مسيحى أن يهتف مع بولس الرسول قائلاً «لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ، فذاك أفضل جداً» (فى ١ : ٢٣) . أم أنه يقول على العكس : أخاف أن أنطلق من الجسد ، وأكون فى المطهر بكل ما فيه من نار وعذاب وسجن !!

حقاً إن الموت هو رعب بالنسبة إلى المؤمنين بالمطهر ، وضد بشارة الخلاص المفرحة ...

فليس الجميع فى المستوى الروحى الذى لبولس الرسول ، الذى قال «لى اشتهاء أن أنطلق» . ومَنْ مِن البشر يمكنه أن يضمن أنه مات وقد وفى عقوبة خطاياه ؟! ... لاشك أن الكل يعتمد على الخلاص الذى قدمه المسيح ...

ولكن كيف تتفق كلمة الخلاص مع المطهر ، إلا لو كان خلاصاً جزئياً ؟! وحاشا أن يكون هذا، وهو الذى «يخلص إلى التمام» (عب ٧ : ٢٥) .

أهم ما فى رسالة المسيح أنه المخلص . وقد سمى يسوع ، «لأنه يخلص شعبه من خطاياهم» (متى ١ : ٢١) . وقد جاء إلى العالم «لكى يخلص ما قد هلك» (متى ١٨ : ١١) . وقد شهد القديس يوحنا الرسول قائلاً «نحن قد نظرنا ونشهد أن الآب قد أرسل الإبن مخلصاً للعالم» (١يو٤ : ١٤) . والقديس بطرس الرسول يدعوه «المخلص يسوع المسيح» (٢بط ١ : ١) (٢بط ٢ : ٢٠) . والقديس بولس الرسول يدعوه «الرب يسوع المسيح مخلصنا» (تى ١ : ٤) . فما موقفه كمخلص من المطهر ؟!

أما يقدر هذا الذى خلص المؤمنين به من «البحيرة المتقدة بالنار والكبريت» (أن يخلصهم أيضاً من هذا المدعو (المطهر) ؟!...

أما يقدر هذا الذى خلص العالم كله من خطاياه ، أن يخلص أيضاً من هذه التى تسمى خطايا عرضية ، ومن الخطايا الأخرى التى غفرت ولم تستوف قصاصاً من الكنيسة... ؟! وما معنى «يخلص إلى التمام»... ؟ وكيف يدعى مخلصاً ، (والذين فى المطهر) يدفعون ثمناً لخلاصهم ؟!

إن مفهوم الخلاص فى ظل المطهر ، كان عثرة كبيرة لأخوتنا البروتستانت .

حتى أنهم فى محبتهم الأطمئنان على خلاص الناس ، صاروا يسألون كل من يتعرفون عليه «هل خلصت يا أخ ؟» «هل قبلت المسيح فادياً ومخلصاً» . وأصبح موضوع الخلاص من أهم الموضوعات التى يتكلمون عنها و يكتبون و يسألون . حتى فى نسخ الأناجيل التى يوزعها الجدعونيون ، يرفقون بها تعهداً بقبول المسيح فادياً ومخلصاً... وهنا أحب أن أسأل فى محبة كاملة وفى صراحة :

هل يعتقد أى أخ كاثوليكى أن المسيح قد خلصه ، بينما نار المطهر تتهدده حتى لو تاب ؟

وذلك لأن نار المطهر ، يدخلها الأبرار محبو الله الذين لهم خطايا عرضية ، وخطايا مميتة قد غفرت بالتوبة ولكن لم تستوف قصاصها بعد . ولذلك يقول الأب لويس برسوم فى كتابه المطهر ص٥ إن المطهر هو لحالة «هى الأغلبية الساحقة من بنى البشر» (سطر١٣)... وكما يقول كتاب التعليم المسيحى (الكاتشزم) الذى

يتعلمه أولادنا فى المدارس الكاثوليكية تحت رقم ٤١٧ «إن النفس البارة، بعد الدينونة الخاصة، غالباً تدخل المطهر. وهو عذاب أليم، به تفى النفس ما تبقى عليها من عقاب زمنى» ...

لاحظوا هنا أن الذى ينال العذاب الأليم هو النفس البارة !

ذلك لأن الأبرار - فى ظل عقيدة المطهر - يتعذبون هم أيضاً كالأشرار!! والفرق بينهما أن الأبرار عذابهم مؤقت، والأشرار عذابهم دائم ...!!

أين الخلاص إذن الذى قدمه المسيح ؟! وأين البشارة المفرحة التى يحملها الإنجيل ؟! وكيف نطلب من الناس أن يؤمنوا بمخلص للعالم، يسمح أن النفس البارة تكابد عذاباً أليماً فى المطهر، بحجة أن هذه النفس لابد أن تفى ما تبقى عليها من عقاب زمني ؟! ومن الذى فرض عليها هذا العقاب الزمنى، وحدود هذا العقاب، حتى تعرف ما تبقى عليها ؟ أهى الكنيسة ؟!

هنا وتعرض أخوتنا البروتستانت للعثرة الثانية من جهة السلطان الكنسى.

هذا السلطان الذى يفرض عقوبات على النفوس التائبة، لابد أن توفيها، ولو بعد الموت، بعذاب أليم فى المطهر... وهكذا أنكروا سلطان الكهنوت. ولما رأوا أن هذا السلطان تسنده قوانين كنسية، أنكزوا هذه القوانين أيضاً، وأنكروا معها التقاليد كذلك... وبخاصة لأن عقيدة الكاثوليك فى المطهر، قررها مجمع فلورنس فى القرن الخامس عشر قبل ظهور البروتستانتية بقليل... فلماذا كل هذا يا أخوتى، من الجانبين.

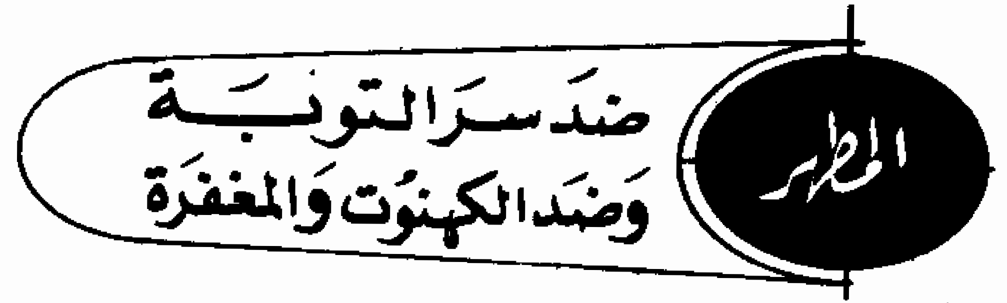
وما هى القصاصات الكنسية التى تفرض على الخطاة ؟ إنها أعمال التوبة.

وهنا تعرض أخوتنا البروتستانت للعثرة الثالثة من جهة قيمة الأعمال.

هذه الأعمال التى يؤدى التقصير فيها إلى «عذابات المطهر» ... ! وهذه الأعمال التى يمكنها أن توفى العدل الإلهى، وتكون ثمناً للخطية ...! حقاً إن الأعمال الصالحة لازمة، وأعمال التوبة لازمة، فقد قال الكتاب «اصنعوا ثماراً تليق بالتوبة» (متى ٣ : ٨). ولكنها لا يمكن أن توفى عقوبة العدل الإلهى، ولا يمكن أن يكفر الإنسان بها عن خطاياه.. !

وهكذا فإن المبالغة التى خرجت عن الحد فى قيمة الأعمال ، جعلت كثيرين من البروتستانت ينكرون قيمة الأعمال جملة ...

* * *



إن مفعول التوبة كما يشرحه لنا الكتاب المقدس هو :

بالتوبة تمحى الخطية ، ويغفرها الله ، ولا يعود يذكرها ، ولا يحاسب الإنسان عليها ، بل يسامحه ، ويصفح عنه ، ويطهره من خطاياه .

وكل هذا واضح من آيات عديدة فى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد .

وكل هذا أيضاً ضد عقيدة المطهر . فلنتأمل إذن ما يقوله الكتاب :

١ ـ فمن جهة محو الخطية ، يقول الكتاب :

(أع ٣ : ١٩) « فتوبوا وارجعوا ، فتمحى خطاياكم » .

(أش ٤٤ : ٢٢) « قد محوت كغيم ذنوبك ، وكسحابة خطاياك » .

(كو ٢ : ١٤) « وإذ كنتم أمواتاً فى الخطايا وغلف جسدكم ، أحياكم معه ، مسامحاً لكم بجميع الخطايا ، إذ محا الصك الذى علينا ... » .

(اش ٤٣ : ٢٥) أنا أنا هو الماحى ذنوبك لأجل نفسى ، وخطاياك لا أذكرها » .

٢ ـ وهذه الخطايا التى محاها الله ، كيف يعود ويفرض عليها عقوبات وهى قد محيت ، وما عاد يذكرها ؟!

ومن جهة أنه ما عاد يذكرها ، تذكر أيضاً قول الرب :

(ار ٣١ : ٣٤) « لأنى أصفح عن إثمهم ، ولا أذكر خطيتهم بعد » .

(حز ١٨ : ٢١ ، ٢٢) « فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التى فعلها ، وحفظ كل فرائضى ، وفعل حقاً وعدلاً ، فحياة يحيا . لا يموت . كل معاصيه التى فعل لا تذكر عليه . فى بره الذى عمل يحيا .

٣ ـ وإن كان الله لا يعود يذكر الخطايا التى تاب عنها الإنسان ، فبالتالى لا يعاقب . لأن المعاقبة معناها أن الله لايزال يذكر هذه الخطايا ، ولم يغفرها بعد ...

٤ ـ وهو لم يقل فقط أنه لا يذكرها ، بل أيضاً لا يحسبها على التائب :

وهنا نرى المرتل يفرح بهذا الأمر ، ويقول فى المزمور :

(مز ٣٢ : ١ ، ٢) « طوبى للذى غفر إثمه ، وسترت خطيته . طوبى للإنسان الذى لا يحسب الرب له خطية » .

(٢كو ٥ : ١٩) « إن الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه ، غير حاسب لهم خطاياهم ، وواضعاً فينا كلمة المصالحة » .

٥ ـ كيف إذن بعد هذه المصالحة ، يعود فيلقى التائبين فى عذابات المطهر؟! وكيف يتفق هذا مع قول الكتاب «غير حاسب لهم خطاياهم» ؟!

مادام الله قد غفر ، فإن الأمر يكون قد أنتهى . ولا يحتاج الأمر إلى تطهير، لأن الله يمزج الأمرين معاً ، إذ يقول :

(ار ٣٣ : ٨) « وأطهرهم من كل إثمهم الذى أخطأوا به إلىّ . وأغفر كل ذنوبهم التى أخطأوا بها إلىّ » .

٦ ـ هنا يكون التطهير من أعمال النعمة ، وليس من أعمال العقاب .
ويكون التطهير أثناء الحياة على الأرض ، وليس بعد الموت .
يكون بعمل الروح القدس فى التغيير ، وليس بعذاب المطهر .

أنظروا ماذا يقول الرب عن التطهير فى سفر اشعياء :

(اش ١ : ١٨) « هلم نتحاجج ـ يقول الرب ـ إن كانت خطاياكم كالقرمز، تبيض كالثلج . وطبعاً هذا يكلم الأحياء على الأرض ، وليست الأرواح بعد الموت .

بل أن داود النبى يقول فى المزمور الخمسين « أنضح علىَّ بزوفاك فاطهر، وأغسلنى فأبيض أكثر من الثلج » (اغسلنى كثيراً من إثمى، ومن خطيئتى تطهرنى» (مز٥٠).

وطبعاً التطهير هنا على الأرض ، وليس بعد الموت فى المطهر .

وعمل الله فى تطهير الإنسان بروحه القدوس ، يبدو فى سفر حزقيال فى قول الرب:

(حز ٣٦ : ٢٥ - ٢٩) « وأرش عليكم ماء طاهراً فتطهرون . من كل نجاساتكم ومن كل أصنامكم أطهركم. وأعطيكم قلباً جديداً، واجعل روحاً جديدة فى داخلكم. وأنزع قلب الحجر من لحمكم، وأعطيكم قلب لحم. وأجعل روحى فى داخلكم. واجعلكم تسلكون فى فرائضى، وتحفظون أحكامى وتعملون بها... وتكونون لى شعباً، وأنا أكون لكم إلهاً. وأخلصكم من جميع نجاساتكم».

نعم ، هذا هو التطهير الحقيقى ، بعمل الله فيه ، ونعمته المطهرة المجددة المبررة، وليس بأسلوب العذاب والعقاب.

إن الذهب قد تضعه فى النار ، فيتطهر وتسقط عنه شوائبه. لأنه معدن لا يحس ولا يشعر. أما الإنسان الذى له روح وعقل ونطق وقلب ومشاعر، فلا تصلح معه نار تطهره، إنما يطهره عمل الله، وسكنى روح الله فيه، ونعمة الله التى تهب القلب الجديد والروح الجديدة. فيتطهر الإنسان بالتوبة ومحبة الله ونقاوة القلب.

٧ - والتطهير لا يكون بعد الموت ، حيث لا حروب من الجسد ومن المادة ومن العالم ومن الشيطان، إنما يكون هنا، حيث توجد الحروب وينتصر الإنسان فيه بقوة من الله.

إن الفكرة التى يقدمها المطهر ليست عملية تطهير ، إنما هى عملية عقاب ومجازاة. ولذلك قيل فى هدفها إنها تكفير لا تطهير... ولست أدرى كيف سميت

بالمطهر؟ أى تطهير يوجد فى النار والعذابات والعقوبة، التى قد تجعل القلب يتضايق و يتذمر كلما طالت المدة، و يشك فى محبة الله. فبدلاً من أن يتطهر يزداد إثماً على إثم...

٨ ـ أيضاً عذابات المطهر لا تتفق مع المغفرة ، ولا مع التحليل الذى يسمعه التائب من فم الكاهن.

ما فائدة التحليل ، الذى بعد سماعه من المفروض أن يخرج التائب والسلام يملأ قلبه، لأنه قد ألقى عبئاً ثقيلاً من على كاهله، وأنتقلت الخطية منه إلى كتف المسيح ليحملها عوضاً عنه... ولكن بفكرة المطهر، يجد التائب المعترف أنه لم يستفد شيئاً، وأن الخطية لا تزال قائمة ضده، تهدده بمستقبل مرعب فى المطهر.

إن عقوبة المطهر بهذا الوضع تعطى شكاً فى تحليل الكاهن وفى سر التوبة .

٩ ـ إن ضرورة بقاء العقوبة بعد الموت ، على الرغم من المغفرة ، أمر لا يتفق مع تعليم الكتاب.

وأكبر توضيح لذلك قصة الإبن الضال الذى لما عاد إلى أبيه ، أنتقل من الموت إلى الحياة (لو١٥: ٢٤، ٣٢). ولم يلق عقاباً، بل العكس وجد المحبة والقبول والإكرام، والحلة الأولى، والخاتم فى يده... إنها الصورة التى نذكرها عن محبة الله وغفرانه... بعكس عقيدة المطهر التى تعطينا صورة قاتمة عن المغفرة التى لا تعفى من العقوبة...

١٠ ـ إن صورة المطهر ، تذكرنا بالعهد القديم ، ولعنات الناموس... وكأننا لم ننل بعد خلاص الرب ونعم الفداء.

إنها تطالب بثمن الخطية ، كأنه لم يُدفع على الصليب .
وتجعل العقوبة لا تزال قائمة ، كأن الفداء لم يتم بعد .
وتنسينا الصلح الذى تم بيننا وبين الله بكفارة إبنه .

إن عقيدة المطهر لا تعيش فى العهد الجديد الذى يقول فيه الكتاب إن المسيح «أُسلم من أجل خطايانا، وأقيم من أجل تبريرنا» (رو٤: ٢٥). وأنه «حمل خطايانا فى جسده على الخشبة» (١بط ٢: ٢٤). إنه العهد الجديد الذى يقول لنا :

« الله بين محبته لنا ، لأنه ونحن بعد خطاة ، مات المسيح لأجلنا . فبالأولى كثيراً ونحن متبررون الآن بدمه ، نخلص به من الغضب . لأنه وإن كنا أعداء ، قد صولحنا مع الله بموت إبنه ، فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته » (رو ٥ : ٨ - ١٠) .

١١ - إن عذاب المطهر لون من الدينونة . ونحن بموت المسيح نجونا من الدينونة .

وهوذا الكتاب يقول « لا شيء من الدينونة الآن على الذين فى المسيح يسوع ، السالكين ليس حسب الجسد ، بل حسب الروح » (رو ٨ : ١) . تقول : هذا للسالكين بالروح . وماذا عن الذين يخطئون خطايا عرضية أو مميتة ؟ أقول لك إنها بالتوبة تمحى ، بدم المسيح ويبقى أمامهم ذلك الرجاء المفرح « لا شيء من الدينونة » ...

١٢ - إن عقيدة المطهر ضد عقيدة الخلاص المجانى :

هذه التى ذكرها الكتاب صراحة « متبررين مجاناً بنعمته ، بالفداء » (رو ٣ : ٢٤) . فإن كان الإنسان يدفع ثمن خطيته : سنوات عذاب يقضيها فى المطهر ، حينئذ يكون هو الذى دفع الثمن ، وليس المسيح الذى دفع عنه . ولاهوتياً لا يستطيع هو أن يدفع الثمن ، لأن الثمن الحقيقى هو الموت أى الهلاك . وقد مات المسيح عنا « لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) . وأخذنا نحن استحقاق هذا الموت مجاناً ... والمطلوب منا هو التوبة ، والسلوك بالروح .

تبقى بعد ذلك العبارة التى تتكرر تقريباً فى كل الكتب التى نشرت عن المطهر ، وهى أن ناره لازمة للتطهير . لماذا ؟

١٣ - لأن السماء لا يمكن أن يدخلها شيء دنس أو نجس (رؤ ٢١ : ٢٧) .

هذا حق . ولكن من قال إن التائب دنس أو نجس ؟!

إنه بالتوبة أبيض من الثلج . تطهر بالتوبة . طهره الله حسب وعده الصادق : «من كل نجاساتكم، ومن كل أصنامكم أطهركم... وأخلصكم من كل نجاساتكم» (حز٣٦ : ٢٥، ٢٩).

إن داود صار طاهراً ، ليس بالمطهر ، وإنما بتوبته وبعمل الله فيه، إذ قال «وتغسلنى كثيراً من إثمى، ومن خطيئتى تطهرنى».

التائبون سيدخلون السماء أطهاراً . يغسلهم المسيح كما غسل أرجل تلاميذه ، وقال لهم : أنتم الآن أطهار... (يو١٣ : ١٠).

١٤ - فى فرح الرجاء ، يفرح التائبون إذ قد غفرت لهم خطاياهم ، بل محيت (أع٣ : ١٩).

ولكن المنادين بالمطهر ، يقولون إن التوبة قد محت وصمة الخطية وليست عقوبة الخطية. ولا تزال العقوبة قائمة تؤدى عنها حساباً هنا أو فى المطهر!!... حقاً أقول كما قال داود النبى :

أقع فى يد الله ، ولا أقع فى يد إنسان . لأن مراحم الله واسعة (٢صم٢٤ : ١٤).

الله يقول : لا أذكرها بعد . لا تحسب عليه . يبيض كالثلج ... أمحوها . أغفرها . اصفح عن آثامهم. اطهرهم من نجاساتهم. لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم (يو١٢ : ٤٧). والإنسان يقول لابد من العقوبة. وإن لم يوفها على الأرض، يقضى زمناً غير محدد فى المطهر... «كرحمتك يارب ولا كخطايانا»...

وهنا نسأل سؤالاً هاماً ، يحتاج إلى إجابة أهم ، وهو :

هل المسيح على الصليب حمل خطايانا فقط ، أم حمل أيضاً عقوبتها ؟

وإن كان قد حمل العقوبة ، فما لزوم الحديث إذن عن العقوبة فى المطهر؟ وإن كانت المغفرة للخطايا فقط دون التنازل عن عقوبتها، فالويل لنا جميعاً... قد هلكنا !! والجميع إلى بحيرة النار والكبريت. وإن كانت المغفرة ترفع العقوبة، فلا مطهر إذن.

١٥ – يا أخوتى ، نادوا بالرحمة ، لا بعذابات مطهرية . فالرب يقول :

« طوبى للرحماء ، فإنهم يرحمون » (متى ٥ : ٧) .

واطمئنوا على العدل الإلهى ، لا تقلقوا عليه !! كلنا نؤمن بالعدل الإلهى ، الذى لابد أن يقتص من غير المؤمنين ، ومن غير التائبين ، ومن كل السالكين بالجسد والسالكين فى الظلمة . أما بالنسبة للمؤمنين التائبين ، فالعدل الإلهى استوفى حقه على الصليب... « لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية » (.يو٣ : ١٦) .

هل الخطايا التى يتعذب الناس بسببها فى المطهر ، حملها المسيح أم لم يحملها ؟ مات عنها أم لم يمت ؟ دفع ثمنها أم لم يدفع ؟

إن كان المسيح قد دفع ثمنها ، فلا لزوم للمطهر ؟

وإن كان المسيح لم يدفع الثمن ، فلا تكفى لغفرانها نار المطهر ، ولا نار الأبدية كلها .

١٦ ـ إن الذين ينادون بضرورة وفاء الإنسان للعدل الإلهى ، نضع أمامهم قصة السيد الرب فى لقائه مع سمعان الفريسى والمرأة الخاطئة التائبة ، وقوله فى مثال المدينين :

« وإذ لم يكن لهما ما يوفيان ، سامحهما جميعاً » (لو٧ : ٤٢) .

هذه هى رحمة الله نحو جميع البشر ، وكلهم ـ كهذين المدينين ـ لا يستطيعون الوفاء بالعدل الإلهى... بالتوبة يسامحهم جميعاً . ليس لنقص فى عدله ، أو لأن عدله ضاع بسبب رحمته ، حاشا !! وإنما لأن العدل الإلهى قد وفى حقه على الصليب...

١٧ ـ أما إن كان لابد أن ندفع ثمناً للعدل الإلهى بعد موتنا ...

فإننا بصراحة تامة ، نكون قد هدمنا كل عقائد الفداء والكفارة والخلاص بالدم ، وبالتالى نهدم التجسد أيضاً والهدف منه ...

إن الرب فى مثال المدينين ، قد غفر للمديون بخمسمائة ، كما للمديون بخمسين (لو٧ : ٤١)... للمديون بالكثير ، وللمديون بالقليل... عارفاً تماماً أن كلاً

من هذين «ليسا لهما ما يوفيانه»...لا مقترف (الخطايا المميتة) يستطيع أن يوفى. ولا صاحب (الخطايا العرضية) يستطيع أن يوفى... يكفيهما التوبة والسلوك الروحى وسلامة العقيدة.

* * *

المطهر ضد العدل والرحمة

المطهر ضد عدل الله :

يقول أخوتنا الكاثوليك إن المطهر هو لإيفاء العدل الإلهى، بالعقوبة عن الخطية. ونحن نرد هنا بأمرين:

١ - العدل الإلهى أستوفى حقه تماماً على الصليب :

وذلك حينما صاح الإبن المصلوب قائلاً «قد أكمل» (يو١٩: ٣٠). حينما دفع ثمن كل خطية، لكل أحد، فى كل زمن حينما دفع ثمن خطايا الماضى والحاضر والمستقبل. حينما قدم كفارة غير محدودة، تكفى لمغفرة خطايا العالم كله.

وهنا نسأل أخوتنا الكاثوليك سؤالاً هاماً وخطيراً وهو:

ما مدى كفاية كفارة المسيح ؟ هل كان فيها نقص فى إيفاء العدل الإلهى، حتى يكملها الإنسان بعذاب فى المطهر؟!!

فإن كانت الكفارة التى قدمها المسيح عنا كافية ووافية، وكاملة من كل ناحية، فما لزوم العذاب لإيفاء العدل الإلهى؟! ألم يكن العدل قد دفع حقه تماماً، حينما ظلت النار تشتعل فى ذبيحة المحرقة حتى تحولت إلى رماد (لا٦: ٨-١٣) وتنسم الله منها رائحة الرضى (تك٨: ٢١). وصارت ذبيحة المسيح كمحرقة «محرقة وقود رائحة سرور للرب» (لا ١: ٩، ١٣، ١٧).

وهنا نسأل السؤال الثانى الخاص بالعدل الإلهى:

٢ ـ هل يوافق العدل الإلهى أن يستوفى حقه عن الخطية مرتين ؟!

يستوفى العدل الإلهى من المسيح مصلوباً نيابة عن الإنسان ، يستوفيه كاملاً غير منقوص . ثم يعود ليطالب الإنسان بإيفاء العدل عن نفس الخطايا مرة أخرى ، كأن لم تكن ذبيحة المسيح ؟!!

من قال إن العدل الإلهى يطالب بثمن ؟! ألم يُدفع له الثمن من قبل ، وهكذا قال الرسول «لأنكم أشتريتم بثمن» (١كو٦ : ٢٠) . فهل من العدل أن يستوفى الله الثمن مرتين ؟!... ثم نحب أن نسأل أيضاً :

٣ ـ ما هو هذا الثمن الذى يطالب به العدل الإلهى ؟ ومن الذى قرره ؟ إنى لا أجد له إشارة فى الكتاب اطلاقاً ...!

أخوتنا الكاثوليك يتحدثون عن خطايا قد غفرت ، ولم تستوف قصاصها بعد ... فما هو هذا القصاص ؟ ومن الذى وضعه ؟ ومن قال إن الله يطالب بقصاص بعد المغفرة ؟! أم هى قصاصات وضعتها الكنيسة ؟ ومات التائب قبل أن يوفيها ؟! فتفترض الكنيسة وجود مطهر توفى فيه هذه القصاصات ...

إن كانت القصاصات صادرة من الكنيسة ، وإنها لكذلك ... فالكنيسة التى لها سلطان الربط ، لها فى نفس الوقت سلطان الحل (متى١٨ : ١٨) .

وهنا لا يكون الأمر خاصاً بالعدل الإلهى ، وإنما بالعدل الكنسى ... بولس الرسول فرض عقوبة على خاطىء كورنثوس (١كو٥ : ٥) . فلما تاب هذا الخاطىء ، رفع عنه الرسول القديس عقوبته . وبعد أن كان يقول لأهل كورنثوس «اعزلوا الخبيث من بينكم» (١كو٥ : ١٣) . عاد يقول لهم فى رسالته الثانية «مثل هذا يكفيه هذا القصاص الذى من الأكثرين ، حتى تكونوا بالعكس تسامحونه بالحرى وتعزونه ، لئلا يُبتلع مثل هذا من الحزن المفرط» (٢كو٢ : ٦ ، ٧) .

لقد فعل هذا مع خاطىء ليس فقط له خطية مميتة ، بل أقول مميتة جداً ، لدرجة أن الرسول وبخ الشعب كله بسببها .

ولم تُفرض على خاطىء كورنثوس سنوات فى المطهر. ولم يحدد لعقوبته زمان معين. وإنما رجع الرسول فى عقوبته بسبب عمق التوبة، ولأنها أتت بنتيجتها الروحية. فالقصاصات الكنسية لون من العلاج أكثر من أن يكون عقوبة وقصاصاً.

إنه قصاص يدخل فى التدبير الروحى، وليس وفاء للعدل الإلهى ...

فالعدل الإلهى يقول إن « أجرة الخطية هى موت » (رو ٦ : ٢٣) . والعدل الإلهى يقول إن هذا الموت قد أستوفى على الصليب. ولكن لا يستحقه سوى المؤمنين التائبين. ولهذا يقول « إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون » (لو١٣ : ٣، ٥) .

والعدل الإلهى يقول إن الخطية تمحى بالتوبة .

وهكذا يقول الكتاب « توبوا وارجعوا فتمحى خطاياكم » (أع ٣ : ١٩) .

طبعاً تمحى بأن تنقل إلى حساب المسيح، كما قال ناثان النبى لداود « الرب نقل عنك خطيئتك، لا تموت » (٢صم١٠ : ١٣). وحينما تنقل خطية المؤمن التائب إلى حساب المسيح، حينئذ يمحوها بدمه الكريم.

٤ ـ فهل من العدل المطالبة بثمن خطيئة قد محيت ؟

أليس المطالبة بدفع ثمنها فى المطهر بعد محوها بالدم، هو أمر ضد العدل الإلهى ؟!

قلنا إن الكنيسة هى التى قررت تلك العقوبات، وهى تستطيع أن ترفعها. ولا يكون هذا ضد العدل فى شيء. لأنها كانت للعلاج، ولا علاج بعد الموت... وهنا أحب أن أسجل حقيقة هامة. وهى :

حسبما ورد فى قوانين الكنيسة، كل العقوبات الكنسية تنتهى عند الموت، أو عند الأشراف على الموت. ولا توجد عقوبة كنسية بعد الموت !!

وحتى حينما كانت الكنيسة تمنع إنساناً لمدة معينة من سر الإفخارستيا، بسبب خطيئة قد أرتكبها، كان إذا اشرف على الموت، ترجع الكنيسة عن عقوبتها،

وتمنحه السر المقدس... يقيناً لا توجد عقوبة تستمر حتى الموت، فكم بالأولى لو كانت تستمر بعد الموت، حتى بعد مغفرتها!! وهنا نسأل:

٥ - هل من العدل الإلهى أن تستمر العقوبة بعد المغفرة، إلى ما بعد الموت ؟!

هنا ويتعرض أخوتنا الكاثوليك لموضوع (العقاب الزمنى) . ويقولون إن الله عاقب داود بعد المغفرة مرتين عقاباً زمنياً: إحداهما بعد خطية الزنا والقتل (٢صم ١٠). والثانية بعد عدّ الشعب (٢صم ٢٤: ١٠- ١٧).

نقول، وقد عاقب الله سليمان بشق المملكة، وعاقب موسى بعدم دخول أرض الموعد، وعاقب آدم وحواء، وعاقب شمشون، ولكن...

ولكن كل هذه كانت عقوبات أرضية . ولم يحكم على أحد من هؤلاء بعذاب بعد الموت ...

وكلها عقوبات لا علاقة لها إطلاقاً بموضوع المطهر ...

حتى موسى الذى فرض عليه الله عقوبة أن لا يدخل أرض الموعد، عاد بعد الموت فدخلها، حينما ظهر مع السيد المسيح على جبل التجلى (مر٩: ٤). كما أن هذه العقوبة لا علاقة لها بالمطهر، ولا بعذاب بعد الموت...

هاتوا لى مثلاً واحداً من الكتاب عن شخص بار، تعذب بعد الموت لكى يتطهر من خطايا ...!! مثلاً وحداً لا غير...

نقطة أخرى أذكرها فى علاقة المطهر بالعدل الإلهى، وهى:

٦ - هل من العدل الإلهى أن تعاقب الروح دون الجسد ؟!

بينما قد يكون الجسد أكثر خطأ وأكثر مسئولية، أو قد يكون هو الذى أحدر الروح عن مستواها بسبب شهواته. والقديس بولس الرسول نفسه يقول «أسلكوا بالروح، فلا تكملوا شهوة الجسد. لأن الجسد يشتهى ضد الروح، والروح ضد الجسد. وهذان يقاوم أحدهما الآخر» (غل٥: ١٦، ١٧).

فهل من العدل أن الروح التى كانت تقاوم الجسد فى شهواته، هى التى تذهب وحدها إلى عذابات المطهر بعد الموت، ولا يتعذب الجسد، لا حسياً ولا معنوياً ؟!

أم أن العدل يقتضى أن الجسد والروح ، اللذين اشتركا معاً فى غالبية الخطايا ، هما يعاقبان معاً، أو يتطهران معاً... وهذا لا يحدث إلا إذا عادا وأتحدا معاً فى القيامة. وفى تلك الحالة لا يكون هناك تطهير، وإنما ثواب دائم أو عقاب دائم. وفى ذلك يقول الكتاب «تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته. فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة» (يو٥ : ٢٨، ٢٩).

أى أنه إذا كانت هناك عقوبة ، تكون للأثنين معاً ، بعد القيامة، حسب قول الرب... على أن هذا الأمر سنبحثه بالتفصيل فى حديثنا عن الدينونة العامة...

هنا وأتعرض إلى نقطة أخرى خاصة بالعدل الإلهى ، فأقول :

٧ ـ هل من العدل الإلهى أن يعاقب على السهوات والهفوات ، وخطايا الجهل والخطايا غير الإرادية، وباقى (الخطايا العرضية) بعذابات فى المطهر تشبه عذابات جهنم ؟!

فهكذا تحدثت الكتب الكاثوليكية التى بين أيدينا، والتى تعطى هذه الصورة البشعة عن معاملات الله للناس...!

بينما يقول المرتل للرب فى المزمور « لا تدخل فى المحاكمة مع عبدك، فإنه لا يتزكى قدامك أى حىّ» (.مز١٤٣ : ٢). ويقول أيضاً «إن كنت للآثام راصداً يارب، يارب من يثبت ؟! لأن من عندك المغفرة» (مز١٣٠ : ٣).

هل من العدل أن يعاقب الله طبيعتنا البشرية الضعيفة بهذه المعاملة، حتى فى عصر النعمة ؟!

وهوذا المرتل ـ فى العهد القديم ـ يقول فى المزمور عن الرب «لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا. لأنه مثل ارتفاع السموات فوق الأرض،

قويت رحمته على خائفيه. كبعد المشرق عن المغرب، أبعد عنا معاصينا. كما يترأف الأب على البنين، يترأف الرب على خائفيه. لأنه يعرف جبلتنا، يذكر أننا تراب نحن..» (مز١٠٣: ١٠- ١٤).

نعم إن عدل الله يذكر أننا تراب نحن. يعاملنا حسب ضعف طبيعتنا، وحسب شدة الحروب الموجهة إلينا من الشيطان...

ولذلك فإن الكنيسة المقدسة فى صلواتها عن المنتقلين، تقدم عنهم دفاعاً أمام العدل الإلهى فتقول «إذ لبسوا جسداً، وسكنوا فى هذا العالم» وتقول أيضاً: «لأنه ليس إنسان بلا خطية، ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض». فكيف إذن من أجل السهوات يتعذب إنسان فى نار المطهر؟! هوذا المرتل يقول للرب «السهوات من يشعر بها؟! من الخطايا المستترة ابرئنى» (مز١٩: ١٢).

* * *

لو كان المطهر بديلاً للقصاصات الكنسية التى لم توف، لا يكون هذا عدلاً. لأن عذابات المطهر، أقسى بكثير من العقوبات الكنسية:

لنفرض مثلاً أن شخصاً أخطأ وتاب. وفرضت عليه الكنيسة بعض عقوبات: مثل الحرمان من التناول فترة معينة، أو الصوم عدة أيام، أو عدداً من المطانيات (السجدات)، أو ما أشبه... ومات هذا الإنسان قبل أن يوفى هذه العقوبات... هل من العدل أن يوفى بدلها عذابات فى المطهر، يقول أحد الآباء الكاثوليك إنها تشبه العذابات الجهنمية؟! إلى جوار «نار الخسران» أى فقدان عشرة الله وملائكته وقديسيه...

هل هذا عدل؟ أن يكابد التائب البار عقوبة مرعبة، بدلاً من عقوبة كنسية علاجية محتملة؟

هل يجوز أن يقول لك شخص «إما أن تدفع الخمسة قروش التى أنت مدين بها، أو أن تجلد مائة جلدة لوفاء هذا الدين»؟!

هذا لو كان هناك دين يجب وفاؤه... أما حنان المسيح فيقول عن سمعان

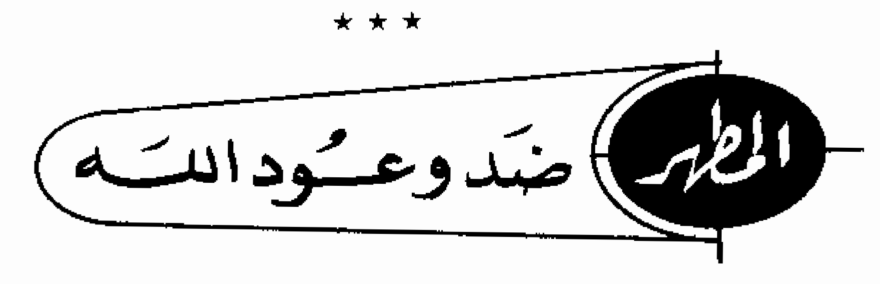
الفريسى والمرأة الخاطئة «وإذ لم يكن لهما ما يوفيان، سامحهما جميعاً» (لو٧ : ٤٢).

* * *

إن كان كل هذا يقال فى موضوع المطهر عن الإلتجاء إلى عدل الله، فماذا نقول إذن عن الرحمة والحب؟!

إن محبة الله التى جعلته يبذل إبنه الوحيد من أجل خلاصنا، هل محبته هذه تسمح بعذابات مطهرية من أجل خطايا عرضية، أو بسبب (خطايا مميتة) قد تاب إنسان عنها، وغفرت له... أين الرحمة هنا؟! تقول «هنا العدل». أقول لك: لا تتعب ضميرك من جهة العدل، فقد أستوفى حقه بالفداء على الصليب...

* * *



كيف يقول الله عن خطايانا التى تبنا عنها: لا أذكرها. لا تحسب عليه. لا يحسب لهم الرب خطية. تمحى. تبيض كالثلج. اطهرهم. أغفر كل ذنوبهم. ثم يعود بعد ذلك لكى يطالبنا بهذه الخطايا، التى قال إنه لا يعود يذكرها، ويطالبنا بعقوبة لها، فيها عذاب...؟!

[أنظر وعود الله فى (أع٣ : ١٩) (اش١ : ١٨) (اش ٤٤ : ٢٢) (اش٤٣ : ٢٥) (مز٣٢ : ١، ٢) (أر٣١ : ٣٤) (أر٣٣ : ٨)].

وماذا عن وعود الله بالمغفرة، والصفح، والمصالحة (٢كو٥ : ٢١)، والمسامحة، ومحو الصك الذى علينا (كو٢ : ١٤). وإنه كبعد المشرق عن المغرب أبعد عنا معاصينا (مز١٠٣ : ٣)؟!

إننا نعلم أن الله أمين فى مواعيده، حسب قول الكتاب «لأن الذى وعد هو أمين» (عب١٠ : ٢٣). و يقول الرسول فى ذلك:

« إن أعترفنا بخطايانا ، فهو أمين وعادل ، حتى يغفر لنا خطايانا ، ويطهرنا من كل إثم » (١يو١ : ٩).

إذن تطهير الله لنا من خطايانا ، أمر يتفق مع أمانته وعدله . و يقول القديس بولس الرسول «أمين الذى يدعوكم، الذى سيفعل أيضاً» (١تس ٥ : ٢٤). إننا نفرح جداً ، ونحيا فى رجاء، حينما نعتمد على صدق الله فى مواعيده. بل نطمئن بالأكثر حينما نسمع قول الرسول :

« إن كنا غير أمناء ، فهو يبقى أميناً ، لن يقدر أن ينكر نفسه » (٢تى٢ : ١٣).

حقاً ، صادقة هذه الكلمة ، ومستحقة لكل قبول ... فلنعتمد إذن على صدق الله فى مواعيده ، ولا نسمح أن يشككنا فيها أحد .

وعود الله أمينة لا رجعة فيها . فإن تاب إنسان وغفر له الله ، لا يعود يعيره بخطاياه ، أو يعاقبه عليها ، أو يقول له : باقٍ عليك حساب يجب أن توفيه . بل يقول «لا يحسب له الرب خطية» (مز٣٢ : ٢)، والذى غسله الله من خطاياه، كما قيل «الذى أحبنا ، وقد غسلنا من خطايانا بدمه» (رؤ١ : ٥)، هذا لم تعد عليه خطية بعد، بل صار أبيض من الثلج (مز٥٠). وهنا يبدو جمال التوبة، وجمال المغفرة...

أما المطهر فهو ضد وعود الله . وهو صورة قاتمة قاتمة ، عن المغفرة، وعن محبة الله ورحمته ، وصدق مواعيده .

★ ★ ★

أيضاً الشخص الذى اصطلح مع الله (٢كو ٥ : ١٨) لا يعود الرب يكسر صلحه معه ويحاسبه على شىء تنازل الله عنه فى صلحه .

هل معقول أن شخصاً تصطلح معه ، ثم ترجع إلى بيتك، فتجده قد أرسل الشرطة لقيادتك إلى السجن؟! صدقونى ولا مع العلمانيين، أهل العالم، يحدث مثل هذا الأمر.

بل على العكس : الله فى مغفرته ، يبعد عنا خطايانا ، كبعد المشرق عن المغرب (مز١٠٣).

فإن أراد الرب معاقبتك على خطية فى المطهر ، تقول له : ما هذا يارب ؟! ألم تقل لا أعود أذكرها ؟! ومادمت قد نقلتها إلى حساب المسيح ، فلماذا تحاسبنى أنا ؟! هل عملية النقل لم تتم ؟!

* * *

يقول بعض الكاثوليك إن وعود الله خاصة بوصمة الخطية ، وليست خاصة بعقوبة الخطية !! ونحن نسأل من أين جاء هذا التفسير؟! ما دليله الكتابى ؟ ما تفسيره اللاهوتى ؟

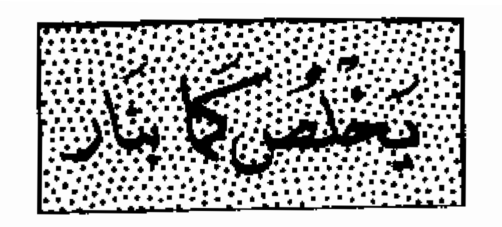
ما معنى أن يعقد الله معك مصالحة ، قوامها أن يغفر، ولا يحسب لك خطية ، ثم يطالبك بعدها بثمن الخطية التى وعد أنه لا يحسبها عليك، بل لا يذكرها ؟! المطالبة بثمنها معناه أنه عاد يذكرها ...!

مثل شخص يعقد معك صلحاً ، ويتعهد أنه لا يطالبك بدين . ثم ترجع إلى بيتك ، فتجد أنه ارسل لك شرطياً يقودك إلى السجن بسبب هذا الدين !!

هل معاملات الله مع الناس من هذا النوع ؟! حاشا ...

الفصل الثالث:

نصوص كتابية وتفسيرها السليم



(١كو٣ : ١٥)*

هذه الآية من أهم الآيات الكتابية التى يعتمد عليها الكاثوليك، فى محاولة لإثبات المطهر، ولذلك سنوليها أهتماماً خاصاً يناسب تركيزهم عليها. وقبل كل شىء أحب أن أقول :

(١) هذه الآية ذكرت فى أثناء الحديث عن الخدمة والخدام، وليس فى مجال الحديث عن الدينونة والعقاب. ولهذا الأمر أهميته :

ومن أجل هذا ، ولكى لا نفصل الآية عن المناسبة التى قيلت فيها ، نقول إن بولس كان يتكلم عن خدمته هو وأبولوس ، وأن الواحد منهما غرس والآخر سقى ، ولكن الله كان ينمى. وإن كل واحد سيأخذ اجرته حسب تعبه. مشبهاً الخدمة بعمل الفلاحة قائلاً «نحن عاملان مع الله، وأنتم فلاحة الله، بناء الله (١كو٣: ٥ - ٩).

ثم أنتقل فى تشبيه الخدمة بالبناء «أنتم بناء الله» إلى قوله « حسب النعمة المعطاة لى - كبناء حكيم - وضعت أساساً، وآخر يبنى عليه. ولكن فلينتظر كل واحد كيف يبنى عليه. فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً غير الذى وضع، الذى هو يسوع المسيح» (١كو١٠، ١١).

(٢) هنا بولس الرسول كبناء حكيم ، كخادم يعرف أصول الخدمة، أو كما تقول إحدى الترجمات، كاستاذ أو معلم حكيم فى البناء as a wise master builder وضع الأساس الذى هو الإيمان بالمسيح، وسيترك البناء لباقى الخدام، لباقى البنائين، ويرى كيف يبنون عليه.

ولذلك يقول فى رسالته لأهل كورنثوس « إن كان لكم ربوات من المرشدين فى المسيح ، لكن ليس آباء كثيرون ، لأنى أنا ولدتكم فى المسيح » (١كو٤ : ١٥). أنا ولدتكم ووضعت الأساس الذى هو الإيمان. وبقى الأمر متروكاً لهؤلاء المرشدين الكثيرين كيف سيبنون عليه : ذهباً وفضة... أم عشباً وقشاً. وكل واحد من هؤلاء المرشدين له طريقته.

بولس بشر أهل كورنثوس ، ولكنه سوف لا يبقى فى كورنثوس باقى حياته ، لأن له خدمة واسعة فى أماكن متعددة. يكفى أنه وضع الأساس ، وسيترك باقى الخدام يبنون عليه.

كما قال أيضاً عن تشبيه الكرازة بعمل الفلاحة « أنا غرست ، وأبولس سقى » (ع٦). غرست ، أى وضعت الأساس. وأبولس سقى ، أى بدأ العناية بهذا الشيء المغروس. فما الذى حدث بعد هذا؟ حدث أنقسام يهدد العمل كله. وقال البعض أنا لبولس وآخر أنا لأبولس (ع٣ ، ٤). فما الذى سيحدث فى البناء فيما بعد؟ ما مصير العمل الكرازى؟ يقول :

« ولكن إن كان أحد يبنى على هذا الأساس ذهباً فضة حجارة كريمة ، خشباً عشباً قشاً ، **فعمل** كل واحد سيصير ظاهراً ، لأن اليوم سيبينه. لأنه بنار يستعلن. **وستمتحن النار عمل كل واحد** ما هو. إن **بقى عمل** أحد قد بناه ، فسيأخذ أجرة. إن **احترق عمل** أحد ، فسيخسر. أما هو فسيخلص ، ولكن كما بنار» (١كو٣: ١٢- ١٥).

(٣) نلاحظ هنا أنه يتكلم عن العمل ، وليس عن الأشخاص.

وهو يتكلم عن خدمة الخدام وليس عن عامة الناس ...

إنه يكلم الخدام ، المبشرين ، الوعاظ ، الرعاة ، المعلمين ، خدام الكلمة ، وليس كل أحد... هؤلاء الذين يبنون الملكوت ، ويقومون بالعمل الكرازى ، كيف سيبنون. وهل عملهم سيبقى أم يحترق. وما الذى سوف يضعونه على أساس الإيمان : هل سيضعون ذهباً فضة حجارة كريمة ، من الأمور التى تبقى ولكنها تتنوع فى مدى قيمتها؟ أم سيضعون خشباً عشباً قشاً ، من الأمور التى تحترق ، ولكنها

أيضاً تتنوع فى سرعة أحتراقها. والبعض يمكن أنقاذه إذا تداركوا الأمر بسرعة، والبعض من الصعب أنقاذه كالقش...

بولس الرسول تهمه الخدمة، يهمه العمل، وعن هذا يتحدث:

فيقول **عمل** كل واحد سيصير ظاهراً، لأن اليوم سيبين هذا **العمل**. هذا **العمل** سوف يستعلن بنار. وستمتحن النار **عمل** كل واحد. هل يبقى العمل، أم أن **العمل** يحترق.

إذن النار هنا للعمل، وليس للأشخاص.

فكلامه صريح «ستمتحن النار عمل كل واحد» ... لكى تبينه: هل هو، ذهب، فضة، حجر كريم، أم هو خشب، عشب، قش... لم يقل إن الأشخاص سيحترقون بنار، إنما قال إن عملهم سيحترق.

(٤) الذى سيجوز فى النار هو العمل، وليس الشخص:

ليس الخادم، إنما خدمته، من أى نوع هى؟ هل ستبقى أم تحترق؟ وعلينا أن نضرب أمثلة للأعمال التى تحترق، والأعمال التى تبقى. الخدمة التى لها ثمر فى الكنيسة، والتى لا ثمر لها...

(٥) فالعمل الذى يشبه الذهب والفضة والحجر الكريم هو عمل من يخدم بطريقة روحية عميقة لبناء النفوس:

بحيث يكون الهدف الوحيد هو الله وملكوته. باسلوب روحى مقنع ومؤثر، يجذب النفوس إلى الله، مع جهد وتعب فى التربية الروحية، وحل كل المشاكل التى تصادف المجاهدين فى طريقهم، ومعرفة الحروب الروحية وطريقة الإنتصار عليها. وحث الناس على الثبات، وتشجيعهم وتقويتهم والصلاة من أجلهم. كالرعاة والمرشدين الذين قال عنهم الرسول «اطيعوا مرشديكم وأخضعوا، لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم، كأنهم سوف يعطون حساباً...» (عب ١٣: ١٧). وكما قال الرسول عن نفسه «فى تعب وكد، فى أسهار مراراً كثيرة، فى جوع وعطش، فى أصوام مراراً كثيرة، فى برد وعرى، عدا ما هو دون ذلك، التراكم علىَّ كل

يوم ، الأهتمام بجميع الكنائس . من يضعف وأنا لا أضعف . من يعثر وأنا لا ألتهب » (٢كو١١ : ٢٧- ٢٩) . « لم أفتر عن أن أنذر بدموع كل أحد » « لست أحتسب لشيء ، ولا نفسي ثمينة عندى ، حتى أتمم بفرح سعيي والخدمة التى أخذتها من الرب يسوع ، لأشهد ببشارة نعمة الله » (أع ٢٠ : ٣١ ، ٢٤) .

هذا هو البناء الذهب الذى لا يتزعزع . هذا هو العمل الروحى القوى الذى لا يحترق .

لأنه تعليم بطريقة جادة روحية باذلة من أجل خلاص النفس وربطها فى ثبات بالله . إنه بناء وطيد . يسقط المطر ، وتجيء الأنهار ، وتهب الرياح ، وتقع على هذا البناء فلا يسقط . تمتحن النار هذا العمل ، فلا يحترق . إنه كالذهب لا تحرقه النار ، بل تزيده توهجاً ولمعاناً ... إنه عمل يبقى . يبقى فى النفوس ، و يبقى إلى اليوم الأخير . والخادم الذى يأخذ أجرته ، و يأخذها حسب تعبه (١كو٣ : ١٤ ، ٨) .

والنار هنا ربما تكون التجارب أو الاختبارات الروحية أو الحروب أو الضيقات ...

التى يتعرض لها كل عمل روحى ، أو تتعرض لها الكنيسة كلها ، فيظهر من فيها هو الذهب ، ومن فيها هو القش . من يثبت ، ومن لا يثبت . من يحترق بسرعة كالقش ، ومن يحترق ببطء كالخشب ، ومن لا يحترق على الإطلاق كالذهب والأحجار الكريمة .

فإذا أخذت النار للإختبار ، فإن كلمة اليوم تعنى اليوم الذى يحل فيه امتحان هذا التعليم الذى علم به الخادم ومدى ثباته فى أنفس سامعيه . أما إذا كان المقصود باليوم الأخير (١كو٤ : ٥) ، فتكون النار هى نار العدل الإلهى ، الذى « سينير خفايا الظلام ، و يظهر آراء القلوب » .. إنها نار أخرى ... فكلمة نار لها معانٍ عديدة ، ورموز عديدة فى الكتاب ...

قلنا إن هناك من يخدم بأسلوب روحى عميق . ولكن ليس الجميع يخدمون كذلك ...

(٦) فهناك من يخدم باسلوب تطغى فيه المعرفة لا الروح ، كما لو كان يخرج علماء لا عابدين ...

كما لو كان يعد تلاميذه ليكونوا دوائر معارف ، لا أن يكونوا اشخاصاً روحيين . يعطيهم علماً دينياً لا تداريب روحية فيه . يخلط الدين بالفلسفة ، ويحوله إلى مجرد فكر. لا فرق عنده بين تدريس رحلات بولس الرسول ، وبين اكتشافات كولومبس ، أو حروب نابليون... كلها فروع من المعرفة .

وهذا الأسلوب تحاشاه القديس بولس الرسول تماماً ...

وقال « وأنا لما أتيت إليكم أيها الأخوة ، أتيت ليس بسمو الكلام أو الحكمة... وكلامى وكرازتى لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع ، بل ببرهان الروح والقوة . لكي لا يكون إيمانكم بحكمة الناس ، بل بقوة الله » (لا بحكمة كلام لئلا يتعطل صليب المسيح » (١كو٢ : ١ ، ٤) (١كو١ : ١٧) .

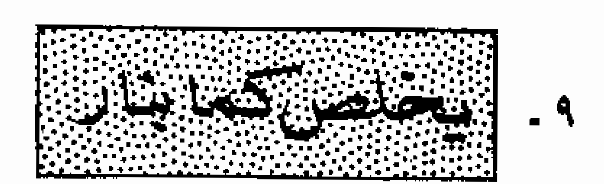
(٧) هذا العمل الكرازى الذى هو بالفلسفة وحكمة الناس ، يمكن أن يحترق . وكذلك الذى هدفه الفصاحة والبلاغة وتنميق الألفاظ والسجع وموسيقى العبارات .

كلها خدمة قد تعجب البعض ، وقد تبهرهم الفصاحة ، أو السجع ، أو المنطق والعقل . وربما فى نفس الوقت لا تترك أثراً روحياً فى نفوسهم . قد تستبقى ألفاظاً مأثورة فى ذاكرتهم ، ولكنها لا تحدث تغييراً فى حياتهم . وإذا صادفتهم نار التجارب والامتحانات الروحية ، لا يثبتون أمامها . ويجد الخادم أو المعلم أو الراعى أن عمله قد أحترق .

وإن أحترق عمله يخسر (١كو٣ : ١٥) ، يخسر تعبه ويخسر مخدوميه ، ويخسر مكافأته وجهده وتعليمه ، وكرازته وخدمته ، إذ لم تأت بثمر روحى ... ولكنه يخلص كما بنار...

(٨) وبنفس الوضع نتحدث عمن تتحول خدمته إلى مجرد أنشطة ، وعمل كثير ، وأهتمام بأمور كثيرة ، وبموضوعات جانبية عديدة ، دون التركيز على

العمل الروحى. وهكذا يحترق عمله كخادم. ولكنه من أجل تعبه وغيرته، ونيته الطيبة، يخلص كما بنار...

٩ - 

أى يخلص بصعوبة بجهد، كمن يمر فى نار و ينتشله الله منها قبل أن يحترق. عمله قد أحترق ولكن الله -من فرط رأفاته- لم يسمح أن هذا الخادم نفسه يحترق، متذكراً تعبه وجهده ورغبته فى خلاص الناس. غير أن اسلوبه فى الخدمة لم يكن سليماً ...

(١٠) والنار هنا ليست نار مطهر. لأنه لم يقل يخلص فى نار، أو فى النار، وإنما كما بنار...

فالنار هنا لم تكن له، وإنما كانت لعمله. كما قال الرسول «ستمتحن النار عمل كل واحد ما هو» (ع١٣). وقد أمتحنت النار عمله فوجدته خشباً أو عشباً أو قشاً. وكان ممكناً أن يهلك هو أيضاً، لأنه لم يخدم بطريقة سليمة، ولأن كلامه لم يكن «روحاً وحياة» (يو٦: ٦٣). ولكنه خلص، بصعوبة... «كما بنار». ولم يقل خلص فى النار.

(١١) كلمة (نار) هنا استخدمت بطريقة مجازية، وليست حرفية.

ولنا مثال عن شخص «خلص كما بنار» هو يهوشع الكاهن:

قال زكريا النبى «وأرانى يهوشع الكاهن العظيم قائماً قدام ملاك الرب، والشيطان قائم عن يمينه ليقاومه. فقال الرب للشيطان: لينتهرك الرب يا شيطان، لينتهرك الرب الذى أختار أورشليم أفليس هذا شعلة منتشلة من النار؟!» (زك٣: ١، ٢).

فما معنى عبارة «شعلة منتشلة من النار» ؟!

معناها مثلاً : أفترض أن قطعة خشب وقعت فى النار ، واشتعلت النار. ولكن رحمة الله تدخلت ، وأنتشلتها ـوهى مشتعلةـ من النار، قبل أن تحترق، ومنحتها حياة... هكذا كان يهوشع الكاهن ، وهو لابس ثياباً قذرة أمام الملاك . فنزعوا عنه الثياب القذرة، وألبسوه ثياباً مزخرفة وعمامة طاهرة .

ولم تكن النار التى أنتشل منها يهوشع ، ناراً مطهرية . إذ كان حياً على الأرض ولم يمت بعد . ولكنها الإثم الذى تعرض له، أو تعرضت له الأمة كلها ممثلة فى شخصه (زك ٣ : ٤ ، ٩).

وبنفس المعنى نفهم عبارة « يخلص كما بنار » أو عبارة « يخلص كمن يمر فى نار» ... لا فرق . والمعنى أنه يخلص بصعوبة ، لأنه قصّر فى تعليم الشعب ، فاحترق عمله الكرازى والرعوى ...

١٢ ـ وعبارة « يخلص كما بنار » تذكرنا فى معناها بقول القديس بطرس الرسول « إن كان البار بالجهد يخلص ... » (١بط ٤ : ١٨) .

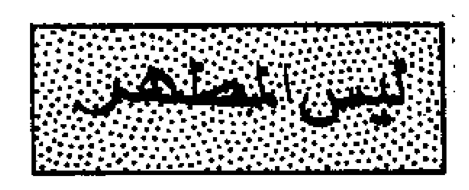
وطبعاً عبارة « يخلص » هنا ، لها عبارة مقدرة ، أى يخلص إذا تاب ... إذا أنسحق قلبه بسبب ضياع خدمته وتعبه ، وندم على أنه خدم باسلوب خاطىء ...

* * *

١٣ـ وهناك آية وردت فى رسالة القديس يهوذا الرسول، تشبه تماماً ما حدث ليهوشع الكاهن ، وتفسر أيضاً معنى «يخلص كما بنار» ... قال :

« ارحموا البعض مميزين . وخلصوا البعض بالخوف ، مختطفين من النار» (يه ٢٢ ، ٢٣) .

فكل إنسان محاط بالإثم ، أو معرض للضياع والهلاك ، يكون محتاجاً إلى من يختطفه من هذه النار، إذ هو عاجز أن يخرج منها بمفرده . وكذلك الخدام والرعاة، هم أيضاً معرضون للضياع والهلاك بسبب المسئولية الملقاة عليهم فى خلاص النفوس وبناء الملكوت . وبعضهم يخلص بصعوبة، بسبب ضعفات الخدمة،، وأخطاء الخدمة، وعثرات الخدمة . ولكن الله يخلص مثل هذا الخادم ـكما بنارـ من أجل إيمانه وتعبه وغيرته، حتى إن فشلت خدمته ...



هذا الإقتباس الذى أستدل به أخوتنا الكاثوليك من (١كو٣)، ليس هو عن المطهر اطلاقاً . وما كان بولس يتحدث عن المطهر، وإنما عن الخدمة... وقد شرحنا هذا الأمر بالتفصيل .

نضيف هنا بضعة أثباتات للدلالة على أن حديث الرسول لا يمكن أن ينطبق على مفهوم المطهر عند الكاثوليك .

(١٤) هنا الكل يتعرض للنار ، بينما المطهر لنوعية من الناس !

النار هنا يتعرض لها الذهب ، كما يتعرض لها القش . وتتعرض لها الأحجار الكريمة، كما يتعرض لها العشب . وهذا ضد المعتقد الكاثوليكى فى المطهر. فلو طبقنا المثل حسب تفسيرهم، فإن الذهب يرمز إلى القديسين الكبار الذين يذهبون تواً إلى الفردوس، ولا يمكن ان يمروا على نار المطهر! بل لهم (زوائد) تصلح لإعانة الذين فى المطهر!! وكذلك الفضة والأحجار الكريمة...

(١٥) هنا النار للامتحان ، وليست للتعذيب كنار المطهر . لاختبار العمل، وليس لتعذيب الشخص...

إذ يقول الرسول « وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو » (ع ١٣) لبيان معدن العمل... تعلنه، وتبينه. بينما نار المطهر -حسب المعتقد الكاثوليكى- هى للعقوبة ، وللتكفير عن الذنب ، ولإيفاء العدل الإلهى...! وكل هذه أمور لا علاقة لها إطلاقاً بهذا الإمتحان أو الاختبار الذى يذكره الرسول...

(١٦) والنار هنا تحرق البعض وتبيده ، بينما نار المطهر المفروض فيها أنها تطهر...!

النار فى هذا المثل تحرق القش والعشب والخشب ... بينما المفروض فى نار المطهر أنها تطهر الإنسان وتنقيه، وتعده لحياة أفضل بالدخول إلى الفردوس، لا أن

تحرقه وتبيده... ! وواضح جداً أن المثل هنا لا ينطبق ، لأنه لا يؤدى إلى الغاية المرجوة من المطهر.

فالقش لا يمكن أن يتطهر و يتحول إلى ذهب أو فضة . والعشب لا يمكن أن يتطهر ثم يدخل إلى الملكوت... هنا كما نرى صورة غير المطهر تماماً . الناس الذين كالذهب والفضة والحجارة الكريمة ، لا يحتاجون إلى تطهير. والذين كالخشب والعشب والقش لا يتطهرون و يدخلون الملكوت ، بل يحترقون ...

(١٧) هنا النار للخسارة بالنسبة إلى الخشب والعشب والقش ، بعكس النار فى المطهر !

يقول الرسول « إن أحترق عمل أحد ، فسيخسر) «ع ١٥ » . وفى المطهر لا حريق ولا خسارة -حسب المعتقد الكاثوليكى- وإنما سداد لديون، وإعداد لأ بدية سعيدة ، وإعانة من الكنيسة ومن صلوات القديسين ، وانتفاع بالذبيحة التى تقدم عن تلك النفوس... أين الحريق والخسارة .

(١٨) نار المطهر لها تأثير واحد ، بعكس النار فى هذا المثل .

النار هنا : تأثيرها على الذهب ، غير تأثيرها على القش ، وعلى باقى ما تعرض لها ... تحرق القش ولا تحرق الذهب . أما نار المطهر ، فعملها واحد فى كل النفوس ، حسب اعتقاد أخوتنا الكاثوليك . إذن المثل لا ينطبق . لأنه هنا يوجد عمل يبقى فى النار ، و يأخذ صاحبه أجرة أى مكافأة . بينما عمل آخر يحترق ، وصاحبه يخسر...

(١٩) لا يجوز يا أخوتى أن نأخذ عبارة قيلت فى مناسبة ، فنفصلها عن هذه المناسبة ، وعن كل ما قيل قبلها من كلام ، ونفرض عليها معنى من عندياتنا لا تحتمله .

وإذا وقفت أمامنا كلمة (نار) لابد أن نفحص ما المقصود بها : هل هى نار الاختبار والامتحان ، كما فى (١كو٣ : ١٣) ؟ أم هى نار التعذيب كالبحيرة المتقدة بالنار والكبريت (رؤ٢٠ : ١٠) ؟ أم هى نار الإثم وما يتبعه من هلاك ، التى تعرض لها يهوشع الكاهن (زك٣ : ٢) . أم هى نار بمعنى صعوبة ، كما فى (١كو٣ : ١٥) . أم هى نار المطهر التى لا أعرف لها شاهداً من الكتاب ...

(٢٠) كذلك عقائد الدين ، لابد أن تسندها آيات صريحة وواضحة ، وتعليم كتابى لا يحتمل اللبس والتأويل . ولا يمكن أن تؤخذ عن طريق الإستنتاج أو التفسير الشخصى .

★ ★ ★



« متى ١٢ : ٣٢)

محاولة أخرى يستخدمها أخوتنا الكاثوليك لاثبات المطهر ، هى قوله عن الذى يجدف على الروح القدس إنه «لا يغفر له فى هذا العالم ، ولا فى الدهر الآتى» (متى ١٢ : ٣٢) .

ويستنتجون من هذا وجود مغفرة فى الدهر الآتى ، ويقولون إن هذه المغفرة تتم فى المطهر!!

وورد حول هذه الآية فى ملحق الترجمة اليسوعية للكتاب المقدس (طبعة سنة ١٩٥١ ص٤٨٨) .

« وفى هذا القول إشارة إلى أن من الخطايا ما يغفر فى الدهر الآخر ، وهو برهان قاطع على وجود المطهر . وذلك أن الخطية لا تغفر فى السماء ، حيث لا يدخل أدنى دنس ، ولا فى جهنم حيث لا يُرجى خلاص . فلابد إذن من مكان آخر بين السماء والجحيم يتطهر فيه الإنسان من الخطايا العرضية التى لا تستوجب جهنم ، ولا يدخل صاحبها السماء ما لم يتطهر منها .

نلاحظ أن الرب قال « فى الدهر الآتى » ، ولم يقل فى المطهر . كلمة الدهر تدل على زمان ، وليس على مكان .

أما المغفرة فى هذا الدهر فتتضح من قول الرب « كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السماء . وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً فى السماء »

(متى١٨ : ١٨). وقوله «من غفرتم خطاياه غفرت له. ومن أمسكتم خطاياه أمسكت» (.يو٢٠ : ٢٣). وفى العلاقات الشخصية «اغفروا يغفر لكم» (لو٦ : ٣٧).

ولكن ما معنى المغفرة فى الدهر الآتى :

لا يعنى المطهر إطلاقاً، فالسيد لم يذكر كلمة مطهر فى كلامه. ولم يوجد أحد من الآباء الأول، فسّر هذه الآية على أنها مغفرة فى المطهر، فلم تكن عقيدة المطهر الكاثوليكية قد ظهرت بعد...

فلذلك كل تفاسير الآباء الأول لا تسند عقيدة المطهر.

لا فى هذه الآية، ولا فى كل الآيات الأخرى التى يحاول الكاثوليك الاعتماد عليها... وكذلك كل ما ورد فى التقاليد القديمة.

وإنما المغفرة فى الدهر الآتى تفسر على أمرين.

١ ـ أولهما حالة إنسان لم تتح له فرصة لنوال مغفرة على الأرض :

كإنسان كان فى غربة، ولم يجد كاهناً يعترف عليه وينال منه حلاً. ولكنه كان تائباً. هذا ينال المغفرة فى الدهر الآتى، أو تعلن له تلك المغفرة التى لم يسمع ألفاظها بأذنيه، وإن كان أحسها فى قلبه.

أو سائح من السواح hermit_ anchorite ـ كان يعيش فى وحدة لا يرى فيها وجه إنسان، لمدة سنوات طويلة. ولم يسمع كلمة مغفرة من الكنيسة على الأرض. وأنتقل من هذا العالم. هذا ينال المغفرة أو تعلن له فى الدهر الآتى.

أو إنسان اساء إلى شخص، وندم على ذلك، وعزم من كل قلبه أن يذهب إليه ويصالحه ويعتذر إليه، ويسمع منه أنه قد غفر له اساءته. ولكنه مات قبل ذلك أثناء غربة أو سفر. هذا ينال هذه المغفرة فى الدهر الآتى.

٢ ـ النوع الثانى إنسان حُرم من الكهنوت ظلماً، ومات محروماً. هذا ينال المغفرة فى الدهر الآتى.

وما أسهل أن يقع هذا الظلم ، من أشخاص أو حتى من مجامع . ويحدث إما أن الكنيسة تراجع نفسها فى الأمر وتحالل الشخص بعد موته ، بعد سنوات أو فى دهر آت . وإما أن الله الذى يحكم للمظلومين ، يغفر لهذا الشخص فى الدهر الآتى ، مادام قد حُرم ظلماً ...

٣ ـ وعلى العموم فإن المغفرة فى الدهر الآتى لا تكون بمطهر .

تكون مغفرة من مراحم الله ، التى تقبل التوبة ، والتى ترفع ظلماً قد وقع ، والتى تعرف ظروف الإنسان ، كالغربة مثلاً ، أو السياحة فى الجبال . فيغفر الرب بتحويل خطية هذا التائب إلى دم المسيح ، دون أن يدخله إلى مطهر ، أو يعرضه لعذاب ... فالمغفرة والتعذيب لا يتفقان !

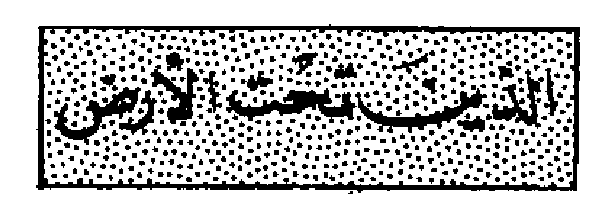
٤ ـ أما من يجدف على الروح القدس ، فلا يغفر له فى هذا الدهر ، ولا فى الدهر الآتى .

وهكذا نكون قد قدمنا تفسيراً لهذه الآية ، بدون التعرض إطلاقاً لموضوع المهطر الذى لم يتعرض له الرب نفسه .

ولا يجوز تحميل آيات الكتاب فوق ما تعنى ،

ولا أن يفرض عليها تفسير شخصى ، ما كان صاحبه ليفرضه لو عاش فى القرن الحادى أو الثانى عشر ، قبل مجمع ليون ومجمع فلورنسا .

* * *



(فى ٢ : ١٠)

يعتمد أخوتنا الكاثوليك أيضاً فى محاولة أخرى لإثبات المطهر ، من قول القديس بولس الرسول : « ولكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ، ومن على الأرض ، ومن تحت الأرض » (فى ٢ : ١٠) .

من الذين تحت الأرض ؟

١ - يقول أخوتنا الكاثوليك : هم النفوس المعتقلة إلى حين ، في ذلك المكان الواقع في باطن الأرض ، والذى أعده الله لتطهير الذين ينتقلون من عالمنا إلى العالم الآخر ، ولا تخلو نفوسهم من بعض الشوائب والعيوب ، التى تحرمهم مؤقتاً من دخول السماء » *

٢ - ولقد رجعت إلى تفسير القديس يوحنا ذهبى الفم ، فوجدته يقول :

« إن كل ركبة ما فى السماء : تعنى الملائكة والقديسين
ومن على الأرض : تعنى الأحياء المؤمنين الذين على الأرض
ومن تحت الأرض : أى الشياطين ، وهم يخضعون للسيد المسيح شاءوا أم أبوا ... » .

ولذلك قال القديس بطرس الرسول « ... يسوع المسيح ، الذى هو فى يمين الله . إذ قد مضى إلى السماء ، وملائكة وسلاطين وقوات مخضعة له » (١بط ٣ : ٢٢) . وليس غريباً أن يركع الشياطين . فقد قال معلمنا القديس يعقوب الرسول إن « الشياطين يؤمنون و يقشعرون » (يع ٢ : ١٩) . وليس غريباً -حينما يكون الرب فى مجده- أن الشيطان يركع له و يهرب ويجرى . وكذلك كل أتباعه ...

٣ - إنما هناك فرق بين سجود الأبرار للرب ، وسجود الأشرار :

الأبرار - ملائكة وقديسين - يسجدون للرب فى حب .
والأشرار - بشراً وشياطين - يسجدون للرب فى رعب .

يسجدون فى خوف . ألم يخف منه الشياطين ، وصرخوا قائلين « ما لنا ولك يا يسوع إبن الله . أجئت إلى هنا قبل الوقت لتهلكنا » (متى ٨ : ٢٩) . وكما صرخ الشيطان مرة وقال له « ما لنا ولك يا يسوع الناصرى . أتيت لتهلكنا . أنا أعرفك من أنت قدوس الله » (مر ١ : ٢٤) (لو ٤ : ٣٤ : ٤١) .

٤ - على أن غالبية المفسرين يقولون إن عبارة « من فى السماء ، ومن على الأرض ، ومن تحت الأرض » ، إنما هى رمز للخليقة كلها .

فالخليقة كلها تسبح الله ، كما ننشد نحن كل يوم فى صلاة التسبحة Psalmody عن المزمور ١٤٨ وفيه «سبحوا الرب من السموات، سبحوه فى الأعالى. سبحوه يا جميع ملائكته... سبحيه يا أيتها الشمس وأيها القمر... سبحى الرب من الأرض أيتها التنانين وكل اللجج... الجبال وكل الآكام... الوحوش وكل البهائم... الدبابات والطيور...» (مز١٤٨).

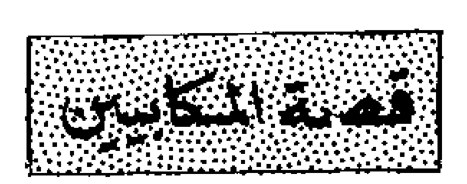
ويذكرنا هذا بتسبحة الخليقة كلها فى سفر الرؤيا :

يقول القديس يوحنا الرائى « وكل خليقة مما فى السماء وعلى الأرض وتحت الأرض، وما على البحر، كل ما فيها سمعتها قائلة : للجالس على العرش وللحمل البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الآبدين (رؤ٥ : ١٣).

نعم كل الخليقة ، بما فى ذلك من تحت الأرض ، تسبح الله وتعطيه الكرامة...

أما أن نقول إن عبارة (ومن تحت الأرض) تعنى الأبرار والصديقين، الذين لهم هفوات، ولذلك فإن الله يخسف بهم الأرض، ويعذبهم تحت الأرض فى نار وعقوبات، ثم يرفعهم إلى السماء، بعد أن تكون كرامتهم قد نزلت إلى الأرض... فهذا كلام غير مقبول ولا معقول، ولا يتفق مع معاملة الله للأبرار والصديقين...





قصة المكابيين

دليل آخر يقدمه أخوتنا الكاثوليك لإثبات المطهر ، يأخذونه من سفر المكابيين الثانى، الإصحاح الثانى عشر. وقد ورد فيه عن حروب يهوذا المكابى :

«وفى الغد جاء يهوذا ومن معه، على ما تقتضيه العادة، ليحملوا جثث القتلى، ويدفنوهم مع ذى قرابتهم فى مقابر آبائهم. فوجدوا تحت ثياب كل واحد من القتلى أنواطاً من اصنام يمنيا مما تحرمه الشريعة على اليهود. فتبين للجميع أن ذلك كان سبب قتلهم. فسبحوا كلهم الرب الديان العادل الذى يكشف الخبايا. ثم أنثنوا يصلون ويبتهلون أن تمحى تلك الخطية المجترمة كل المحو».

« وكان يهوذا النبيل يعظ القوم أن ينزهوا أنفسهم عن الخطيئة . ثم جمع من كل واحد تقدمة ، فبلغ المجموع ألفي درهم من الفضة . فأرسلها إلى أورشليم **ليقدم بها ذبيحة عن الخطية »**.

« وكان ذلك من أحسن الصنيع وأتقاه لاعتقاده فى قيامة الموتى . لأنه لو لم يكن مترجياً قيامة الذين سقطوا ، لكانت صلاته من أجل الموتى باطلاً وعبثاً . ولاعتباره أن الذين رقدوا بالتقوى قد أدخر لهم ثواب جميل . وهو رأى مقدس تقوى . ولهذا قدم الكفارة عن الموتى ليحلوا من الخطية » (٢ مك ١٢ : ٣٦-٤٦).

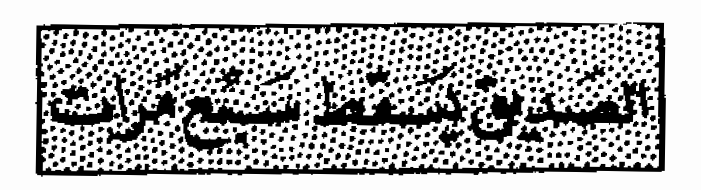
ونحن نتفق مع الكاثوليك فى أن هذه القصة تدل على الإيمان بالقيامة ، وعلى الاعتقاد بالصلاة عن الموتى ، وتقديم الذبائح عنهم .

ولكن لا علاقة لهذه القصة بالمطهر فى كثير أو قليل . كثير أو قليل .

ولا يوجد فى النص أية اشارة إلى المطهر ، ولا إلى غفران الخطية عن طريق المطهر . إنما هى عن أناس آمنوا بالقيامة ، وصلّوا من أجل موتاهم ، وجمعوا تبرعات وأرسلوها إلى أورشليم لتقديم ذبائح عنهم .   ولا أزيد من هذا ...

وتحميل النص فوق ما يطيق ، هو مجرد محاولة لاستنتاج شخصى لا يوجد ما يسنده أو يؤيده .





الصديق يسقط سبع مرات

من الآيات التى يستخدمها بعض الكاثوليك فى محاولة لإثبات المطهر ، قول الكتاب فى سفر الأمثال :

« الصديق يسقط سبع مرات ويقوم » (أم ٢٤ : ١٦) .

صدقونى لقد تعجبت جداً ، حينما قرأت فى كتاب (المطهر) للأب لويس برسوم مجرد استخدام هذه الآية ، وأيضاً تحليله لها بقوله :

« **إن السقوط** الذى تذكره الآية ، هو السقوط **فى بعض الهفوات ... والنقائص الصغيرة ...** التى تعيب ولاشك الإنسان الصديق ... إلا أنها لا تفقده برارته (بره) »
إلى أن يقول :

« والآن لنفترض أن الموت قد داهم هذا الصديق ، **قبل أن يكفر عن كل سقطاته السبع** التى أرتكبها فى يومه ... فماذا يكون مصيره ؟ ترى أيزج به الله فى جهنم النار؟! كلا بالطبع ، لأنه **بار وصديق ،** وواضح أن سقطاته غير قاتلة . فماذا إذن ؟ أيعفو عنه ، ويدخله من فوره السماء والحياة الأبدية ؟! الجواب كذلك كلا . لأن عدالة الله تطالب بحقها كاملاً لآخر فلس » ثم يقول :

« وبالتالى ، فلا مناص من الإلقاء به فى سجن مؤقت ، حتى **يؤدى ما بقى عليه من دين !** وهذا السجن المؤقت هو المطهر » !

الـرد :

تصوروا يا أخوتى أن الصديق البار ، الذى لايزال محتفظاً ببره ، لابد أن يلقى فى النار ، ويكابد عذاب المطهر ، ويدخل سجناً مؤقتاً ، من أجل بعض هفوات ، لابد أن يكفر عنها ، ويؤدى ما بقى عليه من دين !!

هل هذه هى البشارة المفرحة التى نادى بها الإنجيل ؟

هل هذه هى بشرى الملاك وقت ميلاد المسيح « ها أنا أبشركم بفرح عظيم ، يكون لكم ولجميع الشعب ، أنه قد ولد لكم اليوم مخلص هو المسيح الرب » (لو٢ : ١٠ ، ١١) .

وإذا كان الصديق البار ، سيدخل النار من أجل هفوات ، إن دهمه الموت فجأة ، إذن فجميع الناس سيذهبون إلى النار !!

أنستطيع أن نقول إن هذه هى عقيدة المسيحية ؟! أين إذن عقيدة الخلاص الذى قدمه المسيح ؟! وأين الكفارة والفداء ؟ وما عمل الدم الكريم المسفوك على الصليب ؟ هل كل هذا يتسى تماماً ، ولا يبقى سوى أن الإنسان لابد أن يكفر بنفسه عن أعماله ، ولابد أن يدخل النار ، حتى عن الهفوات !!!

إن هذا المطهر ليس فقط يعطى أسوأ صورة للحياة بعد الموت ... بل آسف إن قلت : إنه يسيء إلى صورة الله نفسه .

الله الحنون العطوف الطيب ، الذى قال عنه الرسول « الله محبة » (١يو٤ : ٧)... الله الذى أحبنا حتى أرسل إبنه كفارة عن خطايانا (١يو٤ : ١٠). الله الذى أعطانا المحبة التى تطرح الخوف إلى خارج » (١يو٤ : ١٨). الله الذى يقول حتى فى العهد القديم « هل مسرة اسر بموت الشرير ـ يقول السيد الرب ـ إلا برجوعه عن طرقه فيحيا » (حز١٨ : ٢٣).

الله المحب هذا ، يصورونه لنا بأنه يفاجيء بالموت إنساناً باراً وصديقاً، ليلقيه فى نار المطهر، من أجل هفوات !!!

« أبهتى أيتها السموات من هذا ، واقشعرى وتحيرى جداً » (ار٢ : ١٢).

من المستحيل أن تكون هذه المسيحية التى بشر بها المسيح ، وبشر بها الرسل والآباء... المسيحية التى قال فيها السيد الرب «ما جئت لأدين العالم، بل لأخلص العالم» (يو١٢ : ٤٧). والتى قال فيها للمرأة المضبوطة فى ذات الفعل «ولا أنا أدينك. اذهبى ولا تخطئى أيضاً» (يو٨ : ١١).

هل كل ذلك دفاع عن العدل الإلهى ؟! اطمئنوا ، العدل الإلهى قد وفى حقه على الصليب ... ومادام الإنسان قد تاب، تنتقل خطاياه إلى حساب المسيح ، فيمحوها بدمه، ولا تبقى عليه دينونة بعد .

إن الله ليس مخيفاً بهذه الصورة ، التى يقدمها هذا الأب الكاثوليكى للناس ... وعدله ليس سيفاً نارياً مسلطاً على رقاب الناس، يهددهم بالنار وبالعذاب والعقوبات، حتى على الهفوات .

وصفات الله لا تتعارض مع بعضها البعض ، ولا تنفصل عن بعضها البعض . فهو عادل، وهو أيضاً رحيم، والصفتان غير منفصلتين، بحيث يقول :

عدل الله ، عدل رحيم

كما أن رحمته رحمة عادلة ، استوفت عدلها على الصليب .

والعجيب أن هذه الآية التى أستخدمها المؤلف ، لا تقول فقط إن الصديق يسقط سبع مرات ، بل تقول « و يقوم » . وقد أغفل المؤلف كلمة « و يقوم » .

فهو يسقط ، لأن كل إنسان معرض للسقوط .

ولكنه فى كل مرة يسقط ، يقوم مباشرة ، لأنه صديق .

وفى قيامه من سقطته ، ينال المغفرة بالتوبة (أع ٣ : ١٩) .

ولا يبقى عليه دين ، لأن الله نقل عنه خطيئته ، فلا يموت (١صم ١٢ : ١٣)... نقلها إلى حساب الحمل الذى يحمل خطايا العالم كله ... فهو لا يكفر عن خطاياه السبع ، لأن الكفارة موجودة هناك على الجلجثة ، تستطيع أن تمحو خطايا الكل ...

* * *

هل يعقل أن إنساناً باراً وصديقاً ، أنتقل من عالمنا ، ونحن نصلى عليه فى الجناز، ونبكى بدموع ، ونطلب صلواته وشفاعاته ، بينما هو فى نفس الوقت معذب فى نار المطهر، ليوفى العدل الإلهى عن هفوات وسهوات ، شاء الله أن يفاجئه بالموت ، قبل أن يقدم عنها توبة ، لكى يستحق بذلك العذاب تحت الأرض فى سجن المطهر؟!! أحقاً أن إله المطهر، هو إله الحب والبذل الذى عرفناه وأحببناه ؟!

وهذا البار الصديق أما نفعته الصلاة على الراقدين فى شىء ؟!

وإن كانت هذه الصلاة لا تشفع حتى فى هفوات وسهوات الأبرار والصديقين ، فما لزومها إذن ؟! وما نفعها لغيرهم ممن لم يصلوا إلى مستواهم براً وصدوقية ؟! أما يكون هذا التفسير المطهرى هجوماً على هذه الصلاة ، يشجع أخوتنا البروتستانت على إنكارها ، و يصبح عثرة لهم .

رحمة بطقوس الكنيسة أيها الأخوة . رحمة بصلواتها .
ولا تبنوا عقيدة بهدم عقيدة أو عقائد أخرى ...

* * *

كل هذه التفسيرات الخاطئة فى موضوع المطهر كانت عثرة لأخوتنا البروتستانت .

فثاروا على الأعمال جملة ، وعلى كل أنواع الإماتة . بل حتى على بعض ثمار التوبة من إنسحاق وحزن ودموع وأذلال للنفس ، وصاروا يدعون التائبين لى حياة الفرح مباشرة ، معتمدين على قول المرتل* فى المزمور الخمسين «أردد لى بهجة خلاصك» (ع ١٢)*. ومع أننا لا نوافق على بهجة الخلاص بدون الندم والانسحاق النفس وإذلالها ، إلا أننى أقول :

إن هذا الإتجاه البروتستانتى ، هو رد فعل للمطهر و(للغفرانات).

* * *



(متى ٥ : ٢٦)

يحاول أخوتنا الكاثوليك إثبات عقيدة المطهر من قول السيد المسيح فى العظة على الجبل فى موضوع الصلح : «كن سريعاً فى مراضاة خصمك ، مادمت معه فى الطريق ، لئلا يسلمك الخصم إلى القاضى . ويسلمك القاضى إلى الشرطى ، فتلقى فى السجن . الحق أقول لك لا تخرج من هناك حتى توفى الفلس الأخير» (متى ٥ : ٢٥ ، ٢٦).

فيقولون إن السجن هو المطهر ، يلقى فيه الإنسان ، ولا يخرج منه حتى يوفى كل ما عليه من عقوبات...

الــرد :

١ - يمكن أخذ كلام الرب بطريقة حرفية عن المعاملات مع الناس :

فهو كان يتكلم عن الصلح بين الناس . فقال « إن قدمت قربانك على المذبح ، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك ، فاترك قربانك قدام المذبح ، واذهب أولاً اصطلح مع أخيك...» (متى ٥ : ٢٣ ، ٢٤) . ونحن نأخذ هذه الآيات بمعناها الحرفى عن الصلح... ثم يقول الرب بعدها مباشرة «كن مراضياً لخصمك

سريعاً ...» فلماذا لا تؤخذ هذه الآيات أيضاً كذلك بالمعنى الحرفى ؟

٢ ـ ولكنها حتى لو أخذت بالمعنى المجازى ، فلا علاقة لها بالمطهر:

القديس أوغسطينوس فى تفسيره للعظة على الجبل ، قال إن خصمك هو ضميرك ، ويجب أن ترضى ضميرك سريعاً ... وكل الآباء ـ الذين سلكوا طريقة التفسير المجازى ـ قالوا إن القاضى هو الله . والسجن هو جهنم . والشرطى هو الملاك الموكل بالهاوية وعبارة «حتى توفى الفلس الأخير» هى تعبير يدل على الاستحالة ، يوضع إلى جوارها «ولن توفى» ... هنا ونقول :

٣ ـ مستحيل على الإنسان أن يوفى العدل الإلهى ، مهما قضى فى السجن :

هذه قاعدة إيمانية . وبسببها تجسد الإبن الكلمة ، لكى يوفى عنها . ولذلك ناب عن البشرية فى دفع ثمن الخطية ووفاء العدل الإلهى . وسواء كانت الخطية كبيرة أم صغيرة ، خشبة أم قذى (متى٧ : ٣) ، بعوضة أم جمل (متى٢٣ : ٢٤) . فإنه ينطبق على النوعين قول الرب «وإذ لم يكن لهما ما يوفيان ، سامحهما جميعاً» (لو٧ : ٤٢) .

٤ ـ القاضى هو الله الديان العادل . وقضاؤه يكون فى يوم الدينونة الرهيب .

وحينئذ يكون الإلقاء فى السجن ، هو الإلقاء فى جهنم ، التى لا خروج منها إطلاقاً . وهنا يكون الخصم ، هو العدالة الإلهية ، أو هو وصايا الله . وهنا يقف أمامنا سؤال هام وهو :

٥ ـ كيف يمكن للإنسان وهو فى السجن أن يوفى ؟!

إن كنت قد ظلمت إنساناً ، أو كنت فى عداوة مع إنسان ، كيف تصالحه وأنت فى السجن ؟! زكا استطاع ذلك وهو على الأرض ، بقوله «ها أنا يارب ، أعطى نصف أموالى للمساكين . وإن كنت قد وشيت بأحد ، أرد أربعة أضعاف» (لو١٩ : ٨) . أما لو كان زكا قد ذهب إلى (المطهر) ، فكيف كان يمكنه أن يرد

الأربعة أضعاف ؟!

٦ ـ أم هل يظن أخوتنا الكاثوليك أن العذاب هو الذى يوفى ؟!

وفى هذه الحالة تكون عقوبة جهنم قد حلت محلها عقوبة المطهر ، ولو بطريقة جزئية ، وتكون كفارة المسيح بلا معنى ولا هدف . ولا يكون هناك فداء . لأن الفداء معناه أن نفساً تبذل ذاتها من أجل نفس أخرى . وهنا كل نفس توفى بذاتها ما عليها !! وكيف توفى والعقوبة غير محدودة ؟! إننا لا نستطيع أن نوفى العدل الإلهى ، ولا فى أقل خطية .

مشكلة الأخوة الكاثوليك ، أنهم يظنون أن عبارة «حتى يوفى الفلس الأخير» تعنى أنه يمكن الخروج من السجن بعد وفاء الفلس الأخير !!

٧ ـ ولكن تعبير حتى توفى الفلس الأخير ، يعنى الاستحالة ، مثل أى سؤال تعجيزى لا يمكن الإجابة عليه . وسنضرب لهذا التعبير أمثلة :

أ ـ مثل قول العذارى الحكيمات للعذارى الجاهلات «اذهبن إلى الباعة وابتعن لكن» (متى ٢٥ : ٩) . وكان من المستحيل أن يبتعن .

ب ـ ومثل قول القديس بولس الرسول «فإنى كنت أود لو أكون أنا نفسى محروماً من المسيح ، لأجل أخوتى أنسبائى حسب الجسد» (رو٩ : ٣) . وطبعاً مستحيل أن يكون محروماً من المسيح . ومستحيل أيضاً أن يكون حرمانه من المسيح سبباً فى خلاص أخوته وأنسبائه . ولكنه تعبير تفهم منه الإستحالة .

ج ـ ومثال آخر وهو قول الرسول فى إثبات القيامة «إن كان الموتى لا يقومون ، فلماذا يعتمدون لأجل الأموات» (١كو١٥ : ٢٩) . طبعاً لأنهم يؤمنون بالقيامة ، وإن كان من الاستحالة أن تفيدهم هذه المعمودية ! كما أن هؤلاء الذين يعتمدون لأجل موتاهم ، سبق لهم أن تعمدوا . فمعموديتهم هنا مرتين ، أمر غير جائز...

د ـ وهنا بالمثل يقول : حتى توفى الفلس الأخير ، أقول لك من المستحيل أن توفى . فمن الخير لك التوبة وأنت فى حياتك على الأرض ، والصلح مع أخيك ههنا ، قبل أن تلقى بسبب ذلك فى السجن الذى لن تخرج منه ...

معنى كلمة (حتى) :

أ ـ عبارة حتى لا تعنى زمناً محدداً ، ينتهى الأمر بعده . وهذا واضح عند أخوتنا الكاثوليك الذين يؤمنون مثلنا بدوام بتولية القديسة العذراء مريم . وعلى هذا الأساس يفهمون عبارة (حتى) فى قول الكتاب عن العذراء .

« ولم يعرفها حتى ولدت إبنها البكر » (متى ١ : ٢٥) .

ومعروف طبعاً أنه لم يعرفها بعد ولادة إبنها البكر ... ولا داعى لأن نشرح هذه العبارة شرحاً مستفيضاً ، فليس هذا مكانه . والكاثوليك يرون أن أستخدام كلمة (حتى) هنا ، لا يعنى أن ما بعدها عكس ما قبلها .

ب ـ ميكال زوجة الملك داود ، لما أستهزأت به حينما رقص أمام تابوت العهد ، قال الكتاب عنها :

« ولم يكن لميكال بنت شاول ولد حتى ماتت » (إلى يوم مماتها) (٢صم ٦ : ٢٣) .

وطبعاً ولا بعد موتها كان لها ولد .

ج ـ ومن الأمثلة الهامة جداً «لاهوتياً» ما قيل عن رب المجد :

« قال الرب لربى : أجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك» (مز ١١٠ : ١) .

وطبيعى أنه ظل جالساً عن يمين الآب ، حتى بعد أن وضع أعداءه موطئاً لقدميه .

كل هذه الأمثلة عن معنى كلمة (حتى) واستخدامها فى الكتاب ، يعرفها أخوتنا الكاثوليك جيداً ، و يستخدمونها فى إثبات دوام بتولية العذراء... فلماذا يقفون الآن من كلمة (حتى) موقفاً مغايراً ؟! . نقطة إعتراض أخرى نحب أن نقولها هنا :

٩ ـ كيف توفى الروح فى (المطهر) كل ديونها حتى الفلس الأخير، بينما الجسد ليس معها :

شريكها الأثيم ، الذى كان يشترك معها فى غالبية خطاياها ، بل كان يدفعها إلى الخطية دفعاً لتشترك هى معه «والجسد يشتهى ضد الروح» (غل ٥ : ١٧). كيف يفلت هذا الشريك المخالف، وتقف الروح وحدها لكى توفى الكل «حتى الفلس الأخير» ؟!؟! وهل نستطيع أن نوفى الفلس الأخير، بينما الجسد لم يعاقب . والمعروف فى عقيدة المطهر أنه للأرواح فقط ، التى لا تموت بموت الجسد .

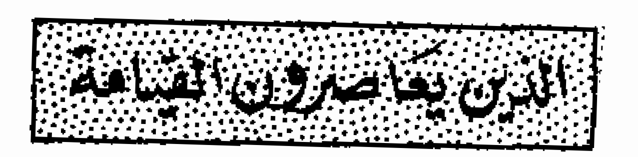
إذن المقصود بالسجن فى جهنم بعد الدينونة ، وليس المطهر بعد الموت .

وحتى يوفى الفلس الأخير ، يفهم أنه بعدها « ولن يوفى » ... أى يبقى فى جهنم إلى الأبد .

الفصل الرابع :

إعتراضات فى مناقشة المظهر

١



الذين يعاصرون القيامة

يقول القديس بولس الرسول : « أما نحن الأحياء إلى مجيء الرب ، لا نسبق الراقدين... لأنه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله ، سوف ينزل من السماء . والأموات فى المسيح سيقومون أولاً . ثم نحن الأحياء الباقين ، سنخطف جميعاً معهم فى السحب لملاقاة الرب فى الهواء ، وهكذا نكون كل حين مع الرب » (١تس ٤ : ١٦ ، ١٧) .

فهؤلاء الذين يعاصرون القيامة ، ويخطفون إلى السماء ، لا يدخلون المطهر طبعاً ، مهما كانت لهم خطايا عرضية أو غيرها . فكيف يتم العدل الإلهى ، كاثوليكياً ؟

ومن غير المعقول أن نقول إن كل الذين يخطفون إلى السماء ، لم تكن لهم ساعة الاختطاف أية سهوات أو هفوات ، أو أية خطية أخرى يرى المعتقد الكاثوليكى أنها تحتاج إلى عقوبة ...

فإن كان عدل الله يسمح بمسامحة هؤلاء المختطفين ، فبنفس المنطق ألا يسامح السابقين لهم فى الزمن ، مادامت العدالة الإلهية راضية ، ولا حاجة إلى مطهر ...

أم هل يحتج البعض ويقولون : كيف يختطف هؤلاء دون أن يتطهروا ؟! ويبقى السؤال قائماً : كيف التصرف مع هؤلاء ؟ وكيف يمكن تحليل الأمر لاهوتياً ...

وبنفس المنطق يمكن أن نسأل عن مجموعة أخرى من معاصرى القيامة :

كانت عليهم عقوبة . وجاءت القيامة قبل أن يتمموها ...

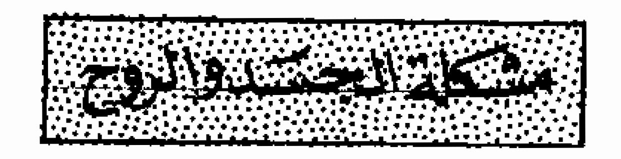
ومعروف فى المعتقد الكاثوليكى أنه لا مطهر بعد القيامة . فما العمل فى باقى العقوبة التى لم تستوفَ . هل تتنازل عنها الكنيسة ؟ وهل يتنازل عنها الله ؟ وإن كان التنازل ممكناً ، فلماذا لا يعمم ؟ ولماذا لا يطبق على كل من يدركه الموت وليس القيامة - قبل أن يتمم العقوبات المفروضة عليه ؟ وحينئذ لا يكون مطهر...

أما إن كان التنازل غير ممكن ، أو هو ضد العدل الإلهى ...

فإن مشكلة لاهوتية تقوم ، وتبقى بلا حل ... !







مشكلة الجسد والروح

حسب عقيدة المطهر ، طبيعى أن الروح فقط هى التى تتطهر بعذابات المطهر. فماذا إذن عن تطهير الجسد ؟ سيأتى يوم القيامة ، وتتحد الروح بالجسد . وهنا المشكلة :

هل تتحد الروح التى - فرضاً - قد دفعت ثمناً غالياً فى نار المطهر لأجل تطهيرها ، هل تقبل أن تتحد بجسد لم يتطهر، وكان شريكاً لها فى بعض الخطايا ، ويأتى ليتحد معها بسهولة . أم تقول الروح له : ابعد عنى . أنا قد تطهرت بالنار، وأنت لم تزل من الأشرار!!

كمنظر عروس جميلة ، يريد أن يتزوجها رجل أبرص ، فتنفر منه ، وترفض أن تكون معه جسداً واحداً ولعل الروح المطهرة تقول للجسد الذى لم يتطهر، هوذا الكتاب يقول :

« أية شركة للنور مع الظلمة ؟! » (٢ كو ٦ : ١٤) .

ولعل البعض يقول : إن الجسد قد تطهر ، بعذاب آخر ، حينما أكله الدود ،

وتحول إلى تراب! والرد عليه جاهز. وهو أن الجسد لم يتعذب مطلقاً. فهو حينما مات، لم يعد يحس مطلقاً، ولم يشعر بدود، ولا بالتحول إلى تراب... إذن أين العذاب الذى يماثل عذاب الروح ؟!

فإن قيل إن الجسد يتطهر حينما يقوم جسداً روحانياً (١كو١٥: ٤٤).

هذا حسن وصدق. ولكن هذه العملية تمت بنعمة الله وهباته، ولم يساهم فيها الجسد بأى ثمن، ولم يقم بوفاء للعدل الإلهى، ولا بوفاء قصاصات كنسية. فلماذا يحدث له هكذا، ويأخذ هذا التغيير والتجلى بلا ثمن، بينما الروح تدفع الثمن، كما تقول عقيدة المطهر؟!

وهل يعامل الله الجسد بهذا التمييز، بينما الروح التى هى أرفع فى مستواها، لا تحظى بشىء من المساواة ؟!

لا شك أنها مشكلة، تواجه عقيدة المطهر...

وتنتظر إجابة عادلة...

هل تطالب الروح بأن يدخل الجسد مثلها إلى النار، ويدفع الثمن، ويأتيها متطهراً ؟! ولكنه لا يشعر بعذاب النار، إلا إذا إتحدت به الروح، واصبح بذلك يحس ويشعر... والاتحاد يكون فى وقت القيامة.

من أجل هذا، تكون دينونة الجسد والروح، هى بعد القيامة.

بعد إتحادهما معاً... وهنا تبطل نار المطهر التى يقال إنها بعد الموت مباشرة... قبل القيامة... والكاثوليك يقولون إنه لا مطهر بعد القيامة... وبعد القيامة تكون النار للدينونة وليس للتطهير...

وتبقى المشكلة بلا حل...

* * *

٢

قديسو العهد القديم

هل دخل أحد منهم إلى (المطهر)؟ من أمثال آبائنا ابراهيم ونوح ولوط وإيليا وداود، والأنبياء... أقصد هل كابدوا عذابات مطهرية للتكفير عن خطاياهم؟ ولا شك أنه كانت لهم أخطاء، فالكتاب يقول «ليس من يعمل صلاحاً، ليس ولا واحد» (مز١٤: ٣). وقد ذكر الكتاب بعض خطايا هؤلاء القديسين، على الرغم من برهم.

فإن كانوا فى العهد القديم لم يدخلوا مطهراً، فهل يكون الدخول فى المطهر من سمات العهد الجديد عهد النعمة؟!

وإن قلت: كانوا قبل الصليب فى الهاوية، أو فى الجحيم ... أقول لك: ولكنهم ما كانوا مطلقاً فى مكان عذاب، ولم يكابدوا عذابات مطهرية. إنما كانوا فى مكان إنتظار، يرقدون على رجاء، فى إنتظار الخلاص.

فما موقف العدل منهم؟ نفس (العدل الإلهى) الذى باسمه يوجد المطهر؟!

ولماذا لا تطالب (النفوس المطهرية) بنفس المعاملة التى عومل بها قديسو العهد القديم؟ و يبقى السؤال بلا جواب... ونعود فنسأل:

وإن كان السيد المسيح قد طهر قديسى العهد القديم، فلماذا لم يطهر أبناء النعمة فى العهد الجديد؟!

★ ★ ★

٤

ما فائدة الصلوات ؟!

إن كانت النفوس التى فى (المطهر) تعان بصلوات الأحياء، فلماذا هى باقية فيه ؟ على الرغم من كل القداسات المقامة، ومن كل الصلوات المرفوعة، ومن كل الصدقات المدفوعة، وعلى الرغم من الغفرانات المحسوبة لهم، وعلى الرغم من تخليص السيدة العذراء الكاملة الطهر وشفاعتها المقبولة ... ؟!

هل ستظل باقية « حتى توفى الفلس الأخير » (متى ٥ : ٢٦) ؟!

وهل كل الصلوات والغفرانات والشفاعات، لا تقوى على نار المطهر هذه، إلا بتخفيف حدتها، وتقليل مدتها، أحياناً ... ؟! وهل الخطايا العرضية تستحق كل هذا العذاب، وكل هذا التوسل، من الكنيسة، أحيائها، وقديسيها المتقلين ؟!

وإن كانت الكنيسة لها سلطان **التخفيف**، **فلماذا** لا يكون لها سلطان الإلغاء ؟

وهل يفلت المؤمنون من عقوبة (الخطايا المميتة) الثقيلة بوفاء عقوبات عنها، ثم يتعذبون فى المطهر بسبب هذه الخطايا العرضية ؟!

وقد قيل إن الإيمان بالمطهر، بدأ يضاف إلى قانون الإيمان عند الكاثوليك، منذ أيام البابا بيوس الرابع.

حيث يقول الشخص فى قانون الإيمان « أعتقد أعتقاداً ثابتاً بوجود مطهر، وأن النفس المحبوسة فيه تغاث بصلوات المؤمنين ».

* * *

٥

المطهر تطهير أم تكفير ؟

سؤال هام نسأله فى موضوع المطهر ، وهو :

هل المطهر هو مطهر ؟ هل هو للتطهير أم للتكفير ؟

هل تدخله النفوس لتتطهر من ذنوبها ، أم لتكفر عن ذنوبها ؟

وإن كان القصد هو التطهير ، فالنفوس تتطهر بالتوبة ، وبالرجوع إلى الله ، وبعمل الله فيها... الله الذى قال « ارش عليكم ماء طاهراً فتطهرون من كل نجاساتكم ، ومن كل أصنامكم اطهركم . وأعطيكم قلباً جديداً ... وأجعل روحى فى داخلكم ، وأجعلكم تسلكون فى فرائضى ... » (حز٣٦ : ٢٥- ٧)... هكذا يكون التطهير ، وليس بالتعذيب .

أما إن كان القصد هو وفاء العدل الإلهى ، ووفاء الديون التى على النفس ، والتخلص من القصاص ، بالعذاب ، يكون الهدف هو التكفير وليس التطهير . ويكون إسم (المطهر) إسماً لا ينطبق على الواقع .

وهذا هو الحادث تماماً ... وهذا هو الهدف منه . وهذه هى العقيدة الكاثوليكية التى تعبر عنها كل الكتب التى صدرت عن المطهر : «إنسان لم يوف عقوباته على الأرض ، لم يوف العدل الإلهى... فيكفر عن تلك الخطايا فى المطهر ، لأن السماء لا يدخلها دنس ولا رجس (رؤ٢١ : ٢٧) . وهذا هو الموقف حتى من الإنسان البار الصديق الذى أرتكب هفوات !! (أم٢٤ : ١٦) . ويسأل المؤلف بكل جرأة : وماذا عن خطيته ، والسماء لا يدخلها دنس ؟! والإجابة واضحة ، يقول القديس يوحنا الرسول :

«إن أخطأ أحد ، فلنا شفيع عند الله الآب : يسوع المسيح البار . وهو

كفارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً» (١يو٢: ١، ٢).

أما نسيان كفارة المسيح، أو أعتبارها غير كافية، والاعتماد على عذاب الإنسان فى المطهر لوفاء العدل الإلهى، فهذا أمر ضد الإيمان المسيحى. وما أسهل أن نورد هنا عشرات الآيات الخاصة بالفداء الذى قدمه السيد المسيح، والكفارة التى قدمها. وليس فقط أنه منحنا الخلاص. وإنما بالأكثر حصر الخلاص فيه وحده. ويكفى قول القديس بطرس الرسول عن الرب:

« ليس بأحد غيره الخلاص » (أع ٤ : ١٢) .

ويتابع القديس كلامه فيقول « لأن ليس إسم آخر تحت السماء، قد أعطى بين الناس، به ينبغى أن نخلص» (أع ٤: ١٢). أما فى عقيدة المطهر، فكون الإنسان يوفى عن نفسه العدل الإلهى، فمعناه أن يقوم بخلاص نفسه بنفسه، وكأن المسيح لم يخلصه. ويرفض أن يقول مع داود النبى «كأس الخلاص آخذ، وباسم الرب أدعو» (مز١١٦: ١٣). وتكفير الإنسان عن خطاياه، تعليم ضد الإنجيل.

ومع ذلك فالتكفير بالأعمال البشرية تعليم إنتشر بين البعض ...

كإنسان يتعبه ضميره بسبب خطيته، فيقول: أكفّر عن خطيتى بأيام صوم أفرضها على نفسى !! أو ببعض أعمال النسك ! كلها تعبيرات لا تتفق مطلقاً مع الفهم اللاهوتى للكفارة...

وهؤلاء الذين يقولون: لابد أن يذهب الإنسان إلى المطهر، ليكفر عن خطاياه العرضية، وعن خطاياه الأخرى المغفورة التى لم تستوف عقوبتها... إنما يذكروننى بصرخة داود النبى وهو يقول:

« كثيرون يقولون لنفسى : ليس له خلاص بإلهه » (مز ٣) .

أما نحن فنؤمن بخلاص الرب، خلاصه الكامل الشامل، الذى يشمل وصمة الخطية، وعار الخطية، وعقوبة الخطية، خلاصه الذى يشمل كل ما يطلق على الخطية من أسماء: العرضية والمميتة، والإرادية وغير الإرادية، وخطايا الجهل، والخطايا الخفية والظاهرة... الكل بلا استثناء. كما يقول الكتاب:

« والرب وضع عليه إثم جميعنا » (اش٥٣: ٦) «ودم يسوع المسيح إبنه، يطهرنا من كل خطية ... ومن كل إثم» (١يو١: ٧، ٩).

مادام الرب « قد وضع عليه إثم جميعنا » ، إذن فليس علينا إثم بعد. لأنه قد نقل عنا (٢صم١٢: ١٣)... نقل عنا إلى الحمل الذى يرفع خطايا العالم كله (يو١: ٢٩). نعم لا يكون علينا إثم، مادمنا قد آمنا بالمسيح وبخلاصه وفدائه وتبنا ... وسلكنا فى النور، ولم نخالف عقيدة إيمانية ... إذن «لا شيء من الدينونة» علينا بعد (رو٨: ١).

هذا هو خلاص الرب ، الكامل الشامل ، الرافع لكل عقوبة .

هذا هو الخلاص الذى رفع عنا كل دينونة . كما يقول الرب نفسه «الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامى، ويؤمن بالذى أرسلنى، فله حياة أبدية، ولا يأتى إلى دينونة، بل قد أنتقل من الموت إلى الحياة» (يو٥: ٢٤). وعبارة « لا دينونة» يكررها القديس بولس الرسول أيضاً فى (رو٨: ١). لا دينونة إذن على خطايا قد غُفرت. مادام الإنسان قد تاب، فهو قد تطهر من خطيته، واستحق تكفير المسيح عنها بدمه.

عملية التطهير تتم بدم المسيح وليس بنيران المطهر .

أما العذاب فى المطهر ، فإنه لا يطهر ، ولا يكفّر عن خطية .

إن النفوس تتطهر بمحبة الله التى تحل محل محبة الخطية. ومحبة الله لا تأتى نتيجة التعذيب فى نار المطهر، تحت الأرض... والتطهير لا يأتى إلا بالتوبة، ولا توبة بعد الموت... فالعذارى الجاهلات أردن أن يبحثن عن زيت بعد الموت فلم يجدن، ووقفن خارج الباب (متى٢٥: ١- ١٢)، على الرغم من أنهن كن عذارى، ينتظرن العريس، بإيمان أنه الرب، وكانت معهن مصابيح .

ومن الدلائل على أنه لا توبة بعد الموت ، قول الرب لليهود :

« إن لم تؤمنوا أنى أنا هو ، تموتون فى خطاياكم » (يو٨: ٢٤).

وقال لهم أيضاً « أنا أمضى ، وستطلبوننى وتموتون فى خطاياكم. وحيث أمضى

أنا ، لا تقدرون أنتم أن تأتوا» (يو٨: ٢١). فما معنى عبارة «تموتون فى خطاياكم» ؟ أتراها تعنى أن يتخلص الإنسان من هذه الخطايا بعد الموت و يتطهر و يذهب إلى الفردوس ؟! كلا طبعاً ، وإلا فما معنى قوله بعدها «حيث أمضى أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا» ؟!

★ ★ ★

٦



الغفرانات عند أخوتنا الكاثوليك هى منح يمنحها الباباوات لمن يتلو تلاوات أو صلوات خاصة ، أو لمن يزور أماكن مقدسة معينة .

والغفرانات لها علاقة وطيدة بالمطهر . فهى تساعد على خصم مدد منه (سنوات وأيام) سواء لشخص الخاطىء ، أو لشخص آخر ، إن كانت هذه الغفرانات على نيته أو على ذمته .

كما قيل عن غفرانات الوردية ، إنه يمكن تخصيصها كلها للنفوس المطهرية .

ونتيجة لكثرة التلاوات والصلوات والزيارات المقدسة التى يقوم بها بعض القديسين ، قد يحصلون على غفرانات أكثر مما يحتاجون لتغطية عقوبة سهواتهم **وخطاياهم العرضية . وتسمى هذه بزوائد فضائل القديسين .** ويمكن أن تنفع النفوس التى فى المطهر ، فتخفف عنهم العقوبة أو تقلل المدة .

وسنذكر الآن بعض أمثلة من الغفرانات .

أمثلة من غفرانات الزيارات :

ورد في كتاب « قانون الرهبانية الثالثية العالمية » الذى جمعه «أحد الأخوة الأصاغر» وطبع في مطبعة الآباء الفرنسيسكان باورشليم سنة ١٨٨٧م :

إن الحبر الروماني قد منح من يزور هيكل تلك الأخوية ، في الأيام المذكورة في كتاب القداس الروماني «يربح في ذلك اليوم ما يكسبه في رومة عينها ». وقد أورد جدولاً بتلك الأيام وغفراناتها ، لاغتنام هذا الخير من معرفة تلك الأيام ، وما منح فيها من غفران :

١ ـ أول كانون الثاني ـ ختان السيد ـ غفران ٣٠ سنة و٣٠ أربعينية .

٢ ـ سادس كانون الثاني ـ الغطاس ـ غفران ٣٠ سنة و٣٠ أربعينية .

٤ ـ أربعاء الرماد وأحد الرابع من الصيام : لكلٍ غفران ١٥ سنة و١٥ أربعينية .

٥ ـ أحد الشعانين : غفران ٢٥ سنة و٢٥ أربعينية .

٨ ـ كل يوم من الصيام الكبير ـ غير ما ذكر ـ لكلٍ غفران ١٠ سنوات و١٠ أربعينات .

١١ ـ ٢٥ نيسان ـ القديس مرقس الإنجيلي ـ غفران ٣٠ سنة و٣٠ أربعينية .

١٥ ـ أحد العنصرة والأيام الثمانية التالية ـ غفران ٣٠ سنة و٣٠ أربعينية .

[يلاحظ أننا أخترنا بعض أمثلة أيام من تلك القائمة الطويلة] .

وورد في الكتاب أيضاً أن البابا لاون ١٣ منح غفران ٣٠٠ يوماً لكل مرة يحضر فيها شخص الصلاة التى تقام لإكرام القديس فرنسيس الساروني .

وهناك غفرانات من البابا ليو الرابع ، والبابا بسكال الثاني .

تسع سنوات غفراناً ، لكل درجة يصعدها جاثياً من درجات السلم المقدس ، وهى ٢٨ درجة !!

أي غفران ٢٥٢ سنة لصعود السلم كله ...

أمثلة للغفـران بسبب التلاوات :

ورد فى كتاب « الصلوات اليومية » للكاثوليك الغفرانات الآتية :

١ ـ غفران ٥٠ يوماً لكل مرة يقول فيها المصلى «بسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد آمين » .

٢ ـ غفران سبع سنوات وسبع أربعينات ، لكل مرة تتلى فيها أفعال الإيمان والرجاء والمحبة . وهذه الأفعال عبارة عن صلوات كل منها عبارة عن ثلاثة أو أربعة أسطر .

٣ ـ غفران ١٠٠ يوماً لكل مرة يقول فيها المصلى « يا ملاك الله المتقلد حراستى من رأفته تعالى ، أنر عقلى وأحرسنى ، ودبرنى وارشدنى ، وخلصنى من الشرير ، آمين » .

٤ ـ غفران ١٠٠ يوماً لكل مرة يقول فيها المصلى « هلم ياروح القدس ، واملأ قلوب مؤمنيك ، وأضرم فيها نار محبتك المقدسة » .

٥ ـ غفران ٣٠٠ يوماً لكل من يدعو قلب يسوع الأقدس .

٦ ـ غفران ٣٠٠ يوماً لكل من يقول « يا يسوع ومريم ... » .

٧ ـ غفران ٧ سنين وسبع أربعينات ، لكل من يقول « يا يسوع ومريم ومار يوسف ... » إلخ ...

وورد فى كتاب تحفة الزهور الزكية للنفوس ص ٢٧٩ .

غفران ١٠٠ يوماً لكل مرة « أبانا .. » ولكل مرة « السلام ..

وغفران ١٠ سنوات ، وعشر أربعينات ، مرة فى النهار ، لمن يتلوها جهاراً أو مع آخرين ، فى كنيسة أو فى غير ذلك .

* * *

غفرانات خاصة بالوردية :

ورد فى كتاب « تحقيق الأمنية فى عبارة الوردية » .

الذى طبع فى القاهرة سنة ١٩٨٦م ، بعض وعود للقديسة العذراء منها :

ص ١٥ : « أخلص كل يوم من المطهر من كان من مخلصى العبادة لورديتى .

ص ٢٠ : كل غفرانات الوردية بأسرها يسوغ تخصيصها للنفوس المطهرية .

ص ٢٦ : غفرانات وهبات عديدة أثبتها البابا لاون ١٣ فى السنوات ١٨٨٧ ، ١٨٩٢ ، ١٨٩٩ .

* * *

غفرانات خاصة بمسبحة قلب يسوع :

عن كتاب « صلوات أحباء قلب يسوع » . صدر سنة ١٩٥٦م .

وتتلى مسبحة قلب يسوع ، على مثال مسبحة القديسة مريم العذراء ، فتعطى الغفرانات الآتية :

ص ١٤ - غفران ٣٠٠ يوماً ، لمن يقول « يا قلب مريم الحلو ، كن خلاصى » . وغفران ١٠٠ يوماً لصلاة أخرى .

ص ٧ - غفران ٣٠٠ يوماً لمن يقول أبانا ، والسلام ، والمجد ، على نية الكنيسة .

ص ٢٢ - غفرانات منحها البابا بيوس التاسع سنة ١٨٧٦ ، منها غفران ١٠٠ يوماً ، وغفران ٨٠ يوماً ، لصلوات .

ص ٤٨ - طلبة القربان المقدس - غفران سنتين ، إذا تليت علانية .

* * *

غفرانات ساعة الموت :

« إن كانت إلى جواره الوردية أو الأيقونة : يربح غفراناً بسببها . ولا يشترط أن تكون معلقة بجيده ، أو ملتوية على ذراعه ، أو مضبوطة بيده . بل يكفى أن تكون على الفراش قريبة منه ، ولو لم يرها ولا يلامسها ولا يعلم بها...

غفرانات شهر قلب يسوع :

وهى فى شهر يونيو ، ومنها :

١ ـ غفرانات ممنوحة من البابا بيوس العاشر فى ٨ أغسطس سنة ١٩٠٦ ، وفى ٢٦ يناير سنة ١٩٠٨ . يمنح غفراناً كاملاً لمن يزور الكنائس التى يحتفل فيها بشهر قلب يسوع فى آخر أحد من يونيو . فكل من يحرص على إقامة هذه الاحتفالات ينال :

أ ـ غفران ٥٠٠ يوماً لأجل كل عمل صالح مآله أنتشارها أو إتقانها .
ب ـ غفراناً كاملاً فى كل مرة يتناول فيها القربان المقدس فى شهر يونيو.

٢ ـ غفرانات ممنوحة من البابا لاون ١٣ فى ٣٠ مايو سنة ١٩٠٢ :

غفران سبع سنوات وسبع أربعينات ، وغفراناً كاملاً ، لمن يحضر شهر قلب يسوع ١٠ مرات على الأقل ، فى كنيسة أو بيت ، و يزور كنيسة أو معبداً فى شهر يونيو.

ومن الأمثلة أيضاً : غفرانات سنة اليوبيل الخاصة بالموتى .

[المرجع كتاب : مختصر اللاهوت الأدبى] .

* * *

مناقشة موضوع الغفرانات :

١ ـ المفروض فى الغفران أنه لمغفرة خطية أو خطايا :

فما معنى منح غفران ، بسبب صلوات ، أو تلاوات مقدسة ، أو زيارة لأديرة أو كنائس ؟! ما هو الشىء الذى يغفر هنا ؟ إلا لو كانت كلمة **L'Induligence** لها معنى آخر غير الغفرانات ، وإنها لكذلك . فالترجمة إذن تحتاج إلى تعديل .

٢ ـ المبدأ اللاهوتى الثابت هو أن المغفرة وسيلتها التوبة .

« توبوا فتمحى خطاياكم « (أع ٣ : ١٩) و « إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون » (لو١٣ : ٣ ، ٥) . فما دخل التلاوات والزيارات بالمغفرة ؟ وما دخل الاحتفالات بالمغفرة التى لا تكون إلا بالتوبة ، سواء كانت احتفالات خاصة

باليوبيل أو شهر قلب يسوع أو أعياد قديسين وما أشبه...؟! وأيضاً ما دخل العذراء في الوردية بأمور المغفرة. يمكن أن تشفع العذراء، ولكن لابد من التوبة.

٣ ـ إن الغفرانات عن طريق التلاوات والزيارات والاحتفالات، لا يمكن أن تتم بدون الرجوع إلى الله، ونقاوة القلب، بترك الخطية.

٤ ـ مجرد التلاوات يغفل العمق الروحي للصلاة.

فما أسهل أن يكرر الإنسان صلاة عشرات أو مئات المرات، ويكون ذلك بلا عمق وبلا روح... والمسألة ليست كثرة تلاوات. فالصلاة ليست مجرد تلاوة. وإنما ينبغي أن تكون فيها عناصر روحية، كأن تكون الصلاة بإيمان، بخشوع، بحرارة، بفهم، بروح، بعاطفة وحب، بتأمل... إلخ. أما مجرد التلاوة للحصول على غفرانات، فاسلوب غير روحي...

وربما صلاة واحدة قصيرة بعمقٍ وروح، تكون أكثر فائدة من مائة صلاة بمجرد التلاوة...

إن العشار صلى صلاة قصيرة، بكلمات قليلة، وخرج بها مبرراً (لو١٨: ١٤). بينما كانت صلاة الفريسي أطول منه بكثير، ولم يستفد شيئاً! كذلك صلاة اللص اليمين كانت قصيرة، ولكنها بإيمان وعمق، فاستحق به وعد الرب له بالفردوس (لو٢٣: ٤٢، ٤٣).

٥ ـ وما معنى تحديد الغفرانات بأيام وسنين واربعينات؟!

على أي أساس وضعت هذه الأرقام؟ وما سندها اللاهوتي؟ وما سندها الكتابي؟ وهل هي مجرد أقساط تدفع من حساب إنسان؟ وهل هي خصم من حساب المطهر، وعلى أي أساس؟!

وأيهما أسهل: أن يقول شخص (أبانا الذي) مرة، أم يقضي ١٠٠ يوماً في عذاب المطهر؟ وأين التوازن بينهما.

بحيث أن من يتلو (أبانا الذي) مرة، يغفر له ١٠٠ يوماً!! مائة يوماً من أين؟ أو من ماذا؟ من أي حساب. وما معنى غفران ٢٥٢ سنة لمن يصعد

درجات السلم المقدس جاثياً؟! هل صعود هذه الدرجات يوازى عذاب ٢٥٢ سنة فى المطهر، بعذابات تشبه عذابات جهنم...؟!

على أى أساس وضعت هذه الأرقام والمدد من الغفرانات ؟

ولعل الإجابة هى : على أساس السلطة الكنسية ، السلطة الممنوحة للكهنوت. ونحن نؤمن أيضاً بالسلطة الكنسية الكهنوتية. ولكننا نسأل :

على أى أساس منحت السلطة الكنسية هذه الغفرانات ؟

نقول هذا لأنه من فم الكاهن تطلب الشريعة (ملا ٢ : ٧) . فماذا قالت الشريعة فى هذا الأمر؟ إننا نسأل...

٦ ـ هل زيارة الأماكن المقدسة هى للبركة أم للغفران :

ما معنى أن زيارة مكان معين ، فى يوم معين بالذات ، تمنح غفران ٣٠ سنة و٣٠ أربعينية ؟! وما ذنب الذى لم تسمح له ظروف عمله ، أو ظروفه المالية ، أو ظروف صحته بزيارة ذلك المكان المقدس؟! وما ذنب إنسان مكان سكناه بعيد جداً عن هذا المكان المقدس.، هل يُحرم من المغفرة كل هذه السنوات ، دون ذنب جناه ، و يتمتع بها شخص آخر دون فضل منه ، بل ظروفه أفضل ؟!

٧ ـ ما معنى أن يغفر لشخص ١٥ سنة لعمل ، و٢٥ سنة لعمل اخر، و٣٠ سنة لعمل ثالث ؟!

أو تختلف هذه الغفرانات باختلاف يوم الزيارة وموعده. أو تختلف مدة الغفران إن قيلت الصلاة سراً أو قيلت علانية! ولماذا الغفران أحياناً بالأيام، وأحياناً بالأربعينات ، وأحياناً بالسنوات أو بعشرات السنوات ؟!

بودى لو يقدم أحدهم رسالة علمية لأحد المعاهد اللاهوتية، ليشرح الحكمة فى هذه الأرقام وهذه الغفرانات ، وأساسها اللاهوتى والكتابى والكنسى... لأنى وقفت أمامها متحيراً ، كما وقف دانيال النبى أمام إحدى الرؤى على الرغم من شرح رئيس الملائكة له ، وقال « وكنت متحيراً من الرؤيا ، ولا فاهم » (دا٨ : ٢٧) .

نحن نفهم أنه توجد مغفرة ، أو لا مغفرة . أما المغفرة الجزئية المحددة بأرقام سنين وأيام، فلا نفهمها !

إنسان يتوب ، فيغفر الله له . أو لا يتوب فلا يحظى بمغفرة . أما أن تغفر له مدة محددة ، و يظل الحساب جارياً بينه و بين العقوبة... فهذا شيء لا وجود له فى الكتاب المقدس ! وأما أن يموت هذا الإنسان ، و يبقى حسابه جارياً ، يسدده بعد الموت... فهذا أمر أكثر خطورة .

* * *

إن موضوع المغفرة عموماً ، يحتاج إلى بحث مع أخوتنا الكاثوليك :

١ - هل المغفرة هى بدم المسيح وكفارته وفدائه و يستحقها الإنسان بالتوبة ، و ينالها فى أسرار الكنيسة ؟

٢ - أم المغفرة هى بالقصاصات التى تقررها الكنيسة على التائبين ؟

٣ - أم المغفرة هى بوفاء العدل الإلهى بالعذاب فى المطهر ؟ وتكفير الإنسان عن نفسه بعقوبات ؟

٤ - أم المغفرة هى بمنح الغفرانات حسب القوائم التى نشرنا بعضها ؟

٥ - أم المغفرة هى بزوائد القديسين ، أو تخليص العذراء للنفوس المطهرية ؟

٦ - وهل المغفرة تكون كاملة أم جزئية ؟

٧ - وهل المغفرة تكون فقط من وصمة الخطية ، وتبقى العقوبة قائمة ؟ وتبقى على الإنسان دينونة لم ترفعها عنه كفارة المسيح ؟.

أما نحن فنؤمن بالبند الأول من هذه البنود السبعة . ونرى أن مغفرة الرب لنا كاملة وشاملة ، لا ندخل بعدها فى دينونة . ولا عقوبة بعد الموت للخطايا المغفورة ؟

* * *

ونحب بمناسبة الغفرانات التى تخصم من حساب القصاصات أو حساب المطهر ، أن نتعرض لموضوع « زوائد القديسين » :



زوائد القديسين

نحن نؤمن بالقديسين ، وببركتهم وشفاعتهم ، ونمجد حياتهم الفاضلة ، ونحتفل بأعيادهم ، وندشن أيقوناتهم ، ونبنى الكنائس على أسمائهم ، ونتلو قصصهم فى كتاب السنكسار أثناء القداسات على المؤمنين ، ونذكرهم فى ألحاننا وفى القداس الإلهى . ولكننا على الرغم من كل ذلك نسأل :

١ ـ هل يمكن أن تكون للقديسين زوائد ؟ أو زوائد فضائل ؟

إن المطلوب هو الكمال ، فهل زاد أحد من القديسين على الكمال ؟

يقول ربنا يسوع المسيح فى العظة على الجبل « فكونوا أنتم كاملين ، كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل » (متى ٥ : ٤٨) . فهل أستطاع أحد من القديسين أن يصل إلى هذا الكمال المطلوب ؟! هوذا القديس بولس الرسول يقول «إن المسيح جاء إلى العالم ، ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا» (١تى ١ : ١٥) . والقديس يوحنا الرسول يقول «إن قلنا إنه ليس لنا خطية ، نضل أنفسنا وليس الحق فينا» (١يو١ : ٨) . والقديس يعقوب الرسول يقول «لأننا فى أشياء كثيرة نعثر جميعنا» (يع ٣ : ٢) . وهوذا الرب نفسه يقول :

متى فعلتم كل ما أمرتم به ، فقولوا إننا عبيد بطالون » (لو١٧ : ١٠) .

من فينا تمم جميع الوصايا ، ووصل إلى رتبة عبيد بطالين ؟! فإن كنا لم نفعل بعد جميع ما قد أمرنا الرب به ، فأين هو الكمال إذن . ولا أقول أين هى الزوائد ؟ فلنسمع القديس بولس الرسول يقول :

« ليس إنى قد نلت أو صرت كاملاً ، ولكنى اسعى لعلى أدرك » (فى٣ : ١٢) .

ويكرر العبارة قائلاً « أنا لست أحسب نفسى أنى قد أدركت ، ولكنى ... أمتد إلى ما هو قدام ، اسعى نحو الغرض » (فى ٣ : ١٣ ، ١٤) . فإن كان هذا القديس الذى تعب أكثر من جميع الرسل (١كو١٥ : ١٠) ، وصعد إلى السماء الثالثة (٢كو١٢ : ٢ ، ٤) يقول إنه لم يصل إلى الكمال ، ولم يدرك ، وإنه لا يزال يسعى لكى يدرك . فهل يعقل أن نقول عن قديس إن له زوائد ؟ . أو أن له فضائل فوق المستوى المطلوب ؟!

فإن كان هذا المعنى غير مقبول ، ننتقل إلى الآخر :

٢ ـ هل يعقل أن إنساناً ينال غفراناً فوق احتياج خطاياه، فيزيد عن حاجته ؟!

وإن كانت خطاياه كلها قد غفرت ، فما معنى أن تمنحه الكنيسة غفراناً ليس هو فى حاجة إليه ، فيزيد عن احتياجه ، ويبقى رصيداً يستخدمه لصالح غيره من النفوس المطهرية !!

وإن كان فى غير حاجة إلى غفران ، فلماذا يطلب مغفرة خطاياه كل يوم فى الصلاة الربية .

بصراحة إن عبارة زوائد القديسين ، هى عبارة زائدة .

يبقى بعد ذلك التفسير الثالث لزوائد القديسين وهو :

٣ ـ إن هذا القديس تلا تلاوات كثيرة أخذ عليها غفرانات ، وزار كثيراً من الأماكن المقدسة التى تحسب لها غفرانات ، وأصبح له من كل ذلك رصيد يسمى زوائد .

والأمر لا يتعلق بفضائل زائدة ، ولا بخطايا مغفورة !

وكل إنسان يستطيع أن يقوم بمثل هذه التلاوات والزيارات والأحتفالات المقدسة ، ويكوّن له رصيداً من غفرانات لا يحتاج إليها . ويبقى المفهوم اللاهوتى يحتاج إلى تفسير... ثم نسأل سؤالاً آخر :

٤ - هل يمكن لإنسان أن يعطى من زوائده لغيره ؟

ويجيب الرب عن هذا السؤال فى مثل العشر عذارى: حيث قالت الخمس الجاهلات للخمس الحكيمات «أعطيننا من زيتكن فإن مصابيحنا تنطفىء». فأجابت الحكيمات قائلات «لعله لا يكفى لنا ولكنّ. بل أذهبن إلى الباعة وأبتعن لكنَّ» (متى ٢٥: ٨، ٩).

فى مسألة الخلاص والمغفرة، لابد من التوبة لكل أحد. وإلا فإن «بر البار عليه يكون. وشر الشرير عليه يكون» (حز١٨: ٢٠).

٥ - كل ما نقوله إن القديسين يتشفعون. ولكن لا يعطون من (زوائدهم!) لآخرين ...

لا أحد من القديسين له زوائد. ولا فضائل أحد يمكن أن تعطى لغيره... إنما هم يشفعون... ولعل البعض هنا يسأل: ألم يتفوق القديسون على غيرهم ويزيدون؟ نقول نعم، من جهة المقارنة بغيرهم يزيدون عن غيرهم. ولكنهم أمام الله لم يصلوا بعد إلى الكمال المطلوب، كما قال بولس الرسول عن نفسه (فى ٣: ١٢- ١٤).

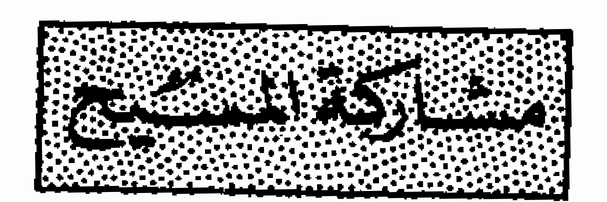
٦ - كما أن تفوق القديسين لا يوهب للغير، إنما له منزلته، وله أكاليله.

وفى هذا يقول الكتاب إن «نجماً يمتاز عن نجم فى المجد» (١كو١٥: ٤١). وقال بولس الرسول عن نفسه وجهاده «وأخيراً وضع لى إكليل البر الذى يهبه لى فى ذلك اليوم الرب الديان العادل...» (٢تى ٤: ٨). بولس أخذ إكليل الجهاد، وإكليل البتولية، وإكليل الرسولية، وإكليل البر، وأيضاً إكليل الشهادة. وقديسون آخرون أخذوا بعضاً من هذه الأكاليل، كل حسب مرتبته. ولكنهم لم يهبوا من أكاليلهم لآخرين.

إنما هم يصلون من أجلنا، وصلاة البار تقتدر كثيراً فى فعلها (يع ٥: ١٦).

إنهم يعطوننا من بركتهم وصلواتهم. وليس من زوائدهم!

٨



عبارة لأب كاثوليكي

فى كتاب (المطهر) للأب لويس برسوم ص٤٧، بعد حديث طويل عن (العقاب الزمنى) الذى وقع على داود النبى، يقدم المؤلف اعتراضاً بخصوص الكفارة بدم المسيح، ويرد عليه فيقول:

« قد يقول قائل إن ذلك كان فى العهد القديم . وأما فى العهد الجديد، فتكفى التوبة للفوز بدخول السعادة الأبدية . **لأن المسيح قد كفر عنا . ومن ثم فلم يعد بعد من عقاب أو عقوبات علينا، نحتاج أن نكفر عنها »** .

« **ولكن هذه مغالطة ، أبعد ما تكون عن الواقع والحقيقة** . إذ كما يعلن القديس بولس «إننا إنما نشارك المسيح فى آلامه، لنشارك فى مجده» (رومية ٨: ١٧) . وهذا يعنى أننا **إن لم نشارك المسيح فى عملية التكفير، قلما يكون عن خطايانا فلن نشاركه فى مجده» !!**

تعقيب

صدقونى إننى قرأت هذه العبارة فذهلت من أمرين :

١ ـ أعتباره أن القول بأن المسيح قد كفر عن خطايانا ، وإننا لم نعد فى حاجة أن نكفر عنها ، إنما هو مغالطة أبعد ما تكون عن الواقع والحقيقة !!

٢ ـ أعتباره أن الشركة فى آلام المسيح ، تعنى أن نشارك المسيح فى عملية التكفير، على الأقل فى التكفير عن خطايانا !!

هذا الأمر يجعلنا ندخل فى موضوع أخطر من المطهر ، وهو ما قام به المسيح من كفارة ...

العجيب أن المؤلف يشرح بعد ذلك أنه لا خلاف أن المسيح هو فادى الأنام وليس سواه ، وأنه «ليس بأحد غيره الخلاص» (أع ٤ : ١٢) ، وأن دم المسيح يطهرنا من كل خطية (١يو١ : ٧) . ثم يقول «ومع ذلك لم يعف داود من العقاب الزمنى المرتب على الخطية» و يستطرد :

« مما تقدم يبدو بوضوح بأن هناك ـ فضلاً عن العقاب الأبدى ، الذى يعفى منه التائب بمجرد حله من وصمة الخطيئة ، عقاباً زمنياً هو بمثابة **تأديب ، لا مناص من أحتماله للتكفير عن الخطيئة هذا العقاب الكفارة »** ، إن لم يأخذ مجراه فى هذه الدنيا ، فلا مفر من أن يأخذ مجراه فى الآخرة ، فى المطهر» (ص ٤٨) .

إذن لابد فى المعتقد الكاثوليكى ، أن الإنسان لابد أن يكفر عن خطاياه ، بعقوبات على الأرض ، أو فى المطهر. وتعتبر هذه العقوبات شركة فى آلام المسيح ، حسب قول الأب الكاتب .. !

وهنا نود أن نورد حقيقتين إيمانيتين اساسيتين وهما :

١ ـ الكفارة عن الخطايا هى بدم المسيح وحده ... وحده .
٢ ـ شركة آلامنا مع المسيح ، ليست إطلاقاً شركة فى الكفارة .

المسيح هو الذبيحة الوحيدة المقبولة للكفارة عن الخطايا . لأن المفروض فى الذبيحة أن تكون بلا عيب ، وأن تكون غير محدودة لتفى العقوبة غير المحدودة بسبب خطية غير محدودة ، موجهة ضد الله غير المحدود . ومن هنا كان لابد من التجسد الإلهى .

أما الإنسان ، فلا يصلح أن يكون كفارة ، أياً كان .

« الجميع زاغوا وفسدوا ، وأعوزهم مجد الله . ليس من يعمل صلاحاً ، ليس ولا واحد» (مز١٤ : ٢ ، ٣) . والسيد المسيح يقول «إن عملتم كل ما أمرتم به ، فقولوا إننا عبيد بطالون» (لو١٧ : ١٠) . لا الإنسان يمكنه أن يكفر عن خطيئته ،

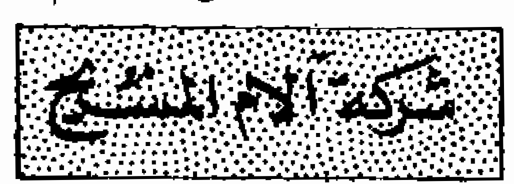
ولا عن خطيئة غيره ، لأنه إنسان خاطىء محدود . « وذبيحة الأشرار مكرهة للرب » (أم ١٥ : ٨) .

مهما تاب الخاطىء ، ومهما أنسحق قلبه ، ومهما مارس من تأديبات وعقوبات أرضية ، ومهما صنع ثماراً تليق بالتوبة ... فلن يشترك مع المسيح فى عملية التكفير..

إنه بكل هذا يستحق كفارة المسيح ، لا أن يشترك معه فى التكفير عن الخطية .

إن الأمور اللاهوتية تحتاج إلى دقة فى الفهم ، وإلى دقة فى التعبير. والكتاب المقدس بعهديه يحصر الكفارة فى الدم، فى دم المسيح وحده لا غير. لا يقوم إنسان بعملية التكفير، ولا يشترك فى عملية التكفير، مهما تألم ، ومهما دخل فى شركة آلام المسيح ...

وهنا نسأل : ما معنى شركة آلام المسيح ؟



يقول القديس بولس الرسول « لأعرفه وقوة قيامته ، وشركة آلامه ، متشبهاً بموته » (فى ٣ : ١٠) . وورد فى (فى ١ : ٢٩) لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح ، لا أن تؤمنوا به فقط ، بل أيضاً أن تتألموا لأجله » ... وتتألموا لأجله ، ليس معناها أن تتألموا فى المطهر. كلا طبعاً ، وإنما :

تتألموا من أجل البر . وتتألموا لأجل الخدمة والكرازة ونشر الملكوت .

والقديس بطرس الرسول يقول « إن تألمتم من أجل البر فطوباكم » (١بط ٣ : ١٤) . هنا ، تألمتم من أجل البر، وليس من أجل الخطايا والتكفير عنها ،ووفاء العدل الإلهى... وبنفس المعنى يقول القديس بولس الرسول «جميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى فى المسيح يسوع يضطهدون» (٢تى ٣ : ١٢) . هذه هى آلام من أجل المسيح ...

آلام الطريق الكرب والباب الضيق (متى ٧) والجهاد والتعب .

والقديس بولس الرسول الذى قال عن الرب « لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه » هو نفسه شرح شركة الآلام هذه فى (٢كو١١)، وكلها عن تعبه فى نشر الكلمة ، وما لاقاه فى سبيل ذلك من ضرب وجلد وسجن واضطهاد ، وجوع وعطش ، وبرد وعرى ، باسفار مراراً كثيرة ، بميتات مراراً كثيرة ، باخطار فى البر والبحر، باخطار من اليهود ومن الأمم ومن أخوة كذبة .

وكل هذه الآلام لا علاقة لها مطلقاً بالمطهر، ولا بالتكفير عن الخطايا ...

ولذلك بعد أن قال « وهب لكم ... أن تتألموا لأجله » ، قال بعدها مباشرة « إذ لكم الجهاد عينه الذى رأيتموه فىّ » (فى١ : ٢٩ ، ٣٠). هذا التعب فى الجهاد ، لأجل نشر الملكوت ، هو الشركة فى آلام المسيح ، التى قال عنها الرسول : لأن السيد المسيح هو الذى بدأ التعب لأجل الملكوت ...

إنه ليس إطلاقاً شركة فى التكفير . فالتكفير عمل المسيح وحده . وليس هو عن آلام المطهر، لأن الرسول بعد قوله « إن كنا نتألم معه ، فلكى نتمجد أيضاً معه » ، قال مباشرة :

« فإنى أحسب أن آلام الزمان الحاضر ، لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا » (رو٨ : ١٧ ، ١٨).

إذن هو يتكلم عن آلام الزمان الحاضر ، وليس عن آلام المطهر بعد الموت . هذا هو الألم نشترك فيه مع المسيح . ليس مطلقاً آلام التكفير التى كانت على الصليب . حاشا ... أقرأ أيضاً أمثلة أخرى لهذه الآلام فى (٢كو٤)، (٢كو٦) . يكفى الآن فقط أن نقتبس منها قوله « فى كل شىء نظهر أنفسنا كخدام الله : فى صبر كثير، فى شدائد فى ضرورات ، فى ضيقات فى ضربات فى سجون ، فى اضطرابات فى أتعاب ، فى أسهار فى أصوام ... » (٢كو٦ : ٤ ، ٥) .

أما آلام التكفير فاجتازها المسيح وحده وهو يقول « قد دست المعصرة وحدى ، ومن الشعوب لم يكن معى أحد ... » (اش٦٣ : ٣).

هذا هو الذى قاله الرب «الآتى من آدوم بثياب حمر» (اش ٦٣ : ١). وكون عملية الكفارة قد قام بها الله وحده، دون أية شركة معه من الإنسان، فهذا بلا شك يتفق مع قول الكتاب «متبررين مجاناً بنعمته، بالفداء الذى بيسوع المسيح، الذى قدمه الله كفارة...» (رو٣: ٢٤).

إن قال أحد إن الإنسان يشترك مع الرب فى عملية التكفير، فإنه يناقض عقيدة الخلاص المجانى بالدم، بالفداء.

فكلمة (مجاناً) فى (رو٣: ٢٤) معناها أن الإنسان لم يدفع أى ثمن من جانبه، لا إيماناً ولا أعمالاً. تقول إذن وما قيمة الإيمان والأعمال والتوبة وممارسة الأسرار من جهة الإنسان أليست اشتراكاً. أقول لك كلا إن ثمن الخلاص دفعه المسيح وحده.

أما الإيمان والأعمال والتوبة والأسرار، فكلها لكى نستحق هذا الخلاص المجانى وهذه الكفارة المجانية...

إن الإيمان ليس ثمناً للخلاص، ولا الأعمال هى الثمن، ولا الأسرار، ولا التوبة. إنما الخلاص ثمنه دم المسيح وحده وهو يوهب مجاناً للمؤمنين التائبين المعمدين...

التوبة فيها آلام : آلام الاعتراف، وكشف النفس، وتبكيت النفس، والخزى والعار و وآلام الندم والدموع ووخز الضمير... وربما آلام تأديبات أيضاً. ولكن ليست هذه كلها تكفيراً عن الخطايا، ولا اشتراكاً فى التكفير. ولكن نفعل هذا لنصل إلى محبة الله ونقاوة القلب، ونستحق بذلك الخلاص المجانى، الذى ثمنه الوحيد هو دم المسيح وكفارته...

هذا الخلاص نلناه، لا بأعمال التوبة، ولا بالعقوبات والقصاصات.

« لا بأعمال فى بر عملناها، بل بمقتضى رحمته خلصنا، بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس، الذى سكبه علينا يسوع المسيح مخلصنا...» (تى٣: ٥، ٦).

أما أعتبار الإنسان شريكاً للمسيح فى عمل الكفارة ، فلا يمكن إطلاقاً أن تسنده آية واحدة من الإنجيل. ولا يجوز إطلاقاً أن نفهم الشركة فى الآلام فهماً خاطئاً ، ونعتبرها شركة فى عملية التكفير عن الخطايا. فآلام المسيح لم تكن فقط آلاماً على الصليب من أجل الفداء والكفارة ، وإنما حياته كلها كانت سلسلة من الآلام ، حتى قيل عنه إنه «رجل أوجاع ومختبر الحزن» (اش٥٣ : ٣). والذى يدرس الكتاب جيداً ، يعرف أن النار التى تعرضت لها ذبيحة المحرقة حتى تحولت إلى رماد (لا٦) ، هى غير النار التى تخبز بها تقدمة الدقيق (لا٢). وليس الآن مجال شرح هذه الأمور البسيطة. وهكذا نحن نشترك فى آلام المسيح على الأرض ، ولكن ليس آلام الفداء والكفارة.







العقوبات الكنسية

يشدد أخوتنا الكاثوليك على العقاب الزمنى ، أى الذى له زمن ، وفى هذا يختلف عن العقاب الأبدى. ويقولون إن مغفرة الخطية ، لا يمنع من عقوبتها بعد المغفرة. ويضربون لإثبات ذلك أمثلة من الكتاب. ثم يشددون فى لزوم هذا العقاب الزمنى ، حتى إنه إذا لم يوف على الأرض ، يصير وفاؤه فى المطهر بعد الموت... وهذه نقطة هامة فى عقيدة المطهر.

ونحن نوافق على عقوبة أرضية . لكن لا نوافق على عقوبة بعد الموت .

وكل العقوبات التى تحملها الأبرار أو التائبون ، والتى سجلها الكتاب المقدس ، كلها عقوبات أرضية ، وليست عذابات بعد الموت. هى عقوبات أرضية ، وليست عقوبات مطهرية.

كما أن الكتاب لا يقول إن هناك عقوبة أرضية على كل خطية .

وإلا وقع الإنسان فى اليأس . لأننا فى كل يوم نخطىء . ولأننا « فى أشياء كثيرة نعثر جميعنا » (يع ٣ : ٢) . « وإن قلنا إنه ليس لنا خطية ، نضل أنفسنا وليس الحق فينا » (١يو١ : ٨) . وإن كانت هناك عقوبة أرضية على كل خطية ، لأصبحت حياتنا سلسلة لا تنقطع أبداً من العقوبات ، وبهذا يقع الإنسان فى الإحباط .

والكتاب المقدس يحمل أمثلة عديدة لمغفرة بلا عقاب وبلا عذاب :

وإلا فما هى العقوبة الأرضية التى وقعت على الإبن الضال (لو١٥) ؟! أو ما هو العقاب الزمنى الذى تعرض له زكا العشار (لو١٩) ؟! أو ماذا كانت العقوبة التى وقعها الرب على المرأة الخاطئة التى ضبطت فى ذات الفعل ، والتى قال لها « ولا أنا أدينك . أذهبى بسلام ولا تخطئى أيضاً » (يو٨ : ١١) .

أوما هو العقاب الزمنى الذى نالته المرأة الخاطئة التى بللت قدمى الرب بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها ؟! هذه التى فضلها الرب على الفريسى . وقال إنه « قد غفرت لها خطاياها الكثيرة ، لأنها أحبت كثيراً » . ثم قال لها « إيمانك قد خلصك ، اذهبى بسلام » (لو٧ : ٣٧ - ٥٠)... فهل ذهبت هذه أو غيرها إلى المطهر ؟!

أو ما هى العقوبة الأرضية التى فرضت على إنكار بطرس ؟! وما هو العقاب الزمنى الذى فرض على شاول الطرسوسى فى اضطهاده للكنيسة . حقاً إن بطرس وبولس تعبا فى حياتهما . ولكنه كان تعباً من أجل الكرازة له مكافأته وأكاليله ومجده . ولم يكن عقاباً على خطية...

نقطة أخرى نقولها . وهو أن العقوبة الأرضية هى للفائدة الروحية ، وليس للتكفير... ! ليست هى ثمن الخطية ، إنما هى تأديب وعلاج .

إنها توقع لتقود إلى التوبة ، كما حدث لخاطىء كورنثوس ، أو لتقود إلى الانسحاق والاتضاع كما حدث لداود النبى . أو أنها تكون درساً للآخرين ، مثلما قال القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس « الذين يخطئون ، وبخهم أمام الجميع ، لكى يكون عند الباقين خوف » (١تى ٥ : ٢٠) .

ولكن لا يمكن مطلقاً أن تكون للتكفير ، أو لإيفاء العدل الإلهى .

أما « أجرة* الخطية فهى الموت » (رو ٦ : ٢٣) أى الموت الأبدى .

فإن أخطأ إنسان ، وفرض عليه الكاهن صوماً أو مطانيات ، فلا يكون هذا الصوم أو هذه المطانيات وفاء العدل الإلهى . فلا وفاء للعدل الإلهى إلا بدم المسيح .

إن القصاصات الكنسية لا علاقة لها مطلقاً بوفاء العدل الإلهى :

أيستطيع إنسان أخذ تأديبات من الكنيسة أن يقول لله : أنا الآن لست مديوناً لك بشيء، لأنى وفيت ديونى بالقصاصات الكنسية؟!!

هذا كلام لا يمكن أن يقبله أى لاهوت مسيحى . لأن ديوننا لم يستطع إيفاءها سوى دم المسيح ، الذى هو وحده يطهرنا من كل خطية (١يو١ : ٧)... أما ما تفرضه الكنيسة من عقوبات ، ما هو إلا لون من العلاج أو التأديب .

لذلك فعبارة (قصاصات) ، لوفاء العدل الإلهى ، عبارة غير سليمة .

ربما كلمة (تأديبات) أكثر توافقاً من كلمة (قصاصات)...

ونظام العقوبات بسنوات ، لم يرد فى الإنجيل . ولكن وضعته الكنيسة .

طبعاً وضعته بسلطانها الإلهى فى الحل والربط (متى١٨ : ١٨) . نحن لا نمانع فى هذا . ولكن نمانع فى أن السلطان الإلهى يستخدم فى الربط ، ولا يستخدم فى الحل..! إن الكنيسة التى فرضت العقوبة، بسلطانها أن ترفعها . وإن كانت قد فرضت عقوبة للعلاج، لتقود الخاطىء إلى التوبة، وبعد الموت لا علاج ولا توبة...

العقوبة الكنسية ، كما تفرضها الكنيسة ، يمكن أن ترفعها .
إذن من واجب الكنيسة أن ترفع عقوبتها عند الموت .
وإلا يكون فى صلاتها عن الموتى لون من التناقض !!

لأنها فى صلاتها عن الموتى ، أعنى عن المنتقلين ، تطلب لهم من الله الرحمة والمغفرة، وأن يريحهم فى فردوس النعيم، بينما هى فى عقيدة المطهر لا تزال مصرة

على العقوبة والقصاص، ومصرة على أن العدل الإلهى لم يستوفِ حقه بعد، ومصرة على أن المغفرة لا تمنع العقوبة، حتى عند الموت ... !!!

والعقوبات الكنسية هى فى الحياة الأرضية فقط هى عقوبات أرضية.

لا يمكن أن يكون لها إمتداد بعد الموت . والمفروض أن الكنيسة حينما تعطى عقوبة كنسية ، تحالل الشخص منها فى جنازه، حينما تصلى عليه «أوشية الراقدين» .

وتوجد أمثلة كثيرة فى القوانين الكنسية ، كانت الكنيسة فيها توقف العقوبة عند التعرض للموت، وتسمح للمعاقب أو المقطوع من شركة الكنيسة أن يتناول من الأسرار المقدسة، ومنها :

(أنقرا ٦) على الرغم من أن الذين ذبحوا للأوثان ، كانت تحكم عليهم بسنوات حرمان من الكنيسة، إلا أن هذا القانون يقول :

« على أنه فى حين الخطر ، أو توقع الموت لمرض أو لأى سبب، فليصر قبولهم بشروط محددة» .

(انقرا ٢٢) عن القاتلين عمداً : يسمح لهم بالشركة التامة فى آخر حياتهم .

(قيصرية الجديدة - ٦) « إذا تزوجت إمرأة بأخوين ، فلتطرح خارجاً ، أى من الشركة، حتى ساعة موتها، إذ يطبق عليها حينذاك فعل الرحمة، فتقبل مع التائبين، بشرط أن تتعهد إذا شفيت من مرضها أن تحل رباط الزيجة» .

(نيقية : ١٣) . وهو أول مجمع مسكونى ، يضع قاعدة وهى :

«إذا اشرف إنسان على الموت، فيجب ألا يحرم من الزاد الأخير الذى لا غنى عنه» «... وعلى الإجمال إذا أحتضر شخص، وطلب أن يناول القربان، فليمنحه الأسقف سؤله بعد الفحص» .

(قرطاجنة : ٧-) ويسمى هذا المجمع مجمع افريقيا (سنة ٤١٧م)- يقرر:

« إذا صار أحدهم فى خطر الموت أثناء غياب الأسقف، وطلب مصالحته أمام المذبح الإلهى، فيجب على القس أن يستشير الأسقف، ثم يصالح الرجل المريض حسب طلبه، موطداً إياه بالنصائح الخلاصية ».

(باسيليوس ٧٣) : القديس باسيليوس الكبير معروف بتشدده . ولكنه يقول :

« من أنكر المسيح ، ثم أعترف بخطيئته وتاب، وبقى نائحاً مدة حياته، يناول الأسرار المقدسة ساعة موته »

(غ. النيسى ٢) : يقول القديس أغريغوريوس اسقف نيصص، وهو أخو القديس باسيليوس الكبير ما يشبه ذلك :

« الذين يسقطون دون تهديد أو اكراه و ينكرون المسيح... لا يجوز قبولهم فى الشركة إلا ساعة موتهم » .

وهكذا نرى من كل ما سبق لقوانين القرن الرابع وبداية الخامس :

إن الكنيسة فى أكثر عصورها تشدداً ، وفى أبشع الخطايا : مثل إنكار المسيح، والذبح للأوثان، والقتل العمد، ما كانت تترك الخاطى يترك العالم وعليه قصاصات . بل كانت تقبله فى الشركة ـ إذا تعرض للموت ـ وتناوله من الأسرار المقدسة .

أما ما يقال فى عقيدة المطهر الكاثوليكية ، من أن إنساناً يموت وعليه قصاصات من الكنيسة، يوفيها بعد موته بعذابات مطهرية، فهذا أمر لم يعرفه مطلقاً تاريخ الآباء الأولين ، وأيضاً لا تعرفه الرحمة . ولا يوجد له أى سند كتابى...

كما أن هناك ملاحظة هامة نقولها ، وهى :

نظام العقوبات الكنسية كان مرتبطاً بنظام الخوارس فى الكنيسة الذى ألغى قبل إعلان عقيدة المطهر بقرون طويلة .

كان الخاطىء المحكوم عليه من الكنيسة يقضى سنوات خارج الكنيسة، أو سنوات فى خورس الباكين، أو فى خورس الراكعين ، أو فى خورس التائبين . ثم

ينتقل إلى خورس المؤمنين، فيحضر قداس الموعوظين وينصرف، أو يحضر قداس القديسين ولا يتناول. ثم يسمح له بالشركة الكاملة والتناول من الأسرار المقدسة... وهذا النظام أنتهى تماماً حوالى القرن السادس تقريباً...

* * *

أيضاً لا يمكن القول بإنه لابد من عقوبة، حتى على الخطايا (العرضية): إن لم نأخذها على الأرض، فلابد أن نأخذها بعد الموت! هذا الكلام غير مقبول...

* * *

لننظر ماذا قال الكتاب المقدس، فى العقوبات الكنسية أو العقوبات الأرضية، حتى بالنسبة إلى درجات صعبة من الخطيئة، كالانحراف فى الإيمان والتعليم، والسلوك بلا ترتيب... قال:

« إن كان أحد يأتيكم، ولا يجيء بهذا التعليم، فلا تقبلوه فى البيت، ولا تقولوا له سلام. لأن من يسلم عليه، يشترك فى أعماله الشريرة» (٢يو١٠: ١١).

« نوصيكم أيها الأخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب، وليس حسب التعليم الذى أخذه منا» (٢تس٣: ٦).

« تجنب مثل هؤلاء » (١تى ٦ : ٥) « لا تخالطوا الزناة » (١تى ٥ : ٩).

« لا تخالطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا » (١كو ٥ : ١١).

« الذين يخطئون وبخهم أمام الجميع، لكى يكون عند الباقين خوف » (١تى٥: ٢٠).

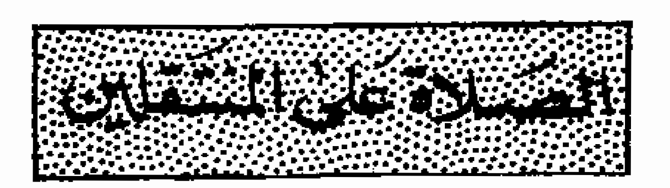
فهل يمكن أن تحل عذابات المطهر، محل إحدى هذه العقوبات؟

إذا كان المطهر يعتمد على عقوبات كنسية لم يوف حسابها. فلنبحث معاً ما هى هذه العقوبات؟ وهل هى متساوية مع المطهر، حتى يحل المطهر محلها؟

بعضها منع من التناول، أو ممارسة بعض أيام صوم، أو نسك معينة، أو بعض مطانيات (سجدات)، أو عدم قبول تقدمات ذلك الخاطىء...

فهل هذه العقوبات يحل محلها عذاب المطهر، لتوفى حسابها، وهل يكون هذا عدلاً...؟!

١٠



الصلاة على المنتقلين

إننا نصلى من أجل الراقدين ، الذين أنتقلوا من عالمنا الحاضر.

وكل الكنائس التقليدية ، أرثوذكسية ، وكاثوليكية ، تصلى من أجلهم .

ولكن الكاثوليك يأخذونها علينا ، كما لو كانت إثباتاً للمطهر .

نحن نصلى لأجل الراقدين ، عملاً بصلاة القديس بولس الرسول من أجل أنيسيفورس ، وقوله عنه «ليعطه الرب أن يجد رحمة من الرب فى ذلك اليوم» (٢تى ١ : ١٨) . والمقصود بذلك اليوم هنا ، هو يوم الدينونة . كما قال عنه نفسه «وأخيراً وضع لى إكليل البر، الذى يهبه لى فى ذلك اليوم الرب الديان العادل . وليس لى فقط ، بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً» (٢تى ٤ : ٨) .

ولم يكن القديس بولس يطلب راحة لأنيسيفورس فى (المطهر) !

وإنما (فى ذلك اليوم) ، يوم الدينونة الرهيب ، حينما يقف أمام الديان العادل . هذه هى الرحمة الدائمة . ونحن نطلب للراقدين الراحة ، فنقول يارب نيحهم . والنياح كلمة سريانية بمعنى الراحة ، تعودنا أستخدامها . فما المقصود بمعنى الراحة هنا .

نقصد راحة لنفوسهم فى مكان الإنتظار ، لأن يوم الدينونة لم يأت موعده .

أى أنهم لا يكونون فى قلق أو فى اضطراب ، وهم فى إنتظار يوم الدينونة ... نطلب أن يعطيهم الرب راحة نفسية ، راحة لنفوسهم التى قد تتذكر خطاياها فتتعب ، إنما حينما تتذاكر مراحم الله ، تشعر براحة ...

والصلاة على الراقدين ، ليس فيها أى ذكر للمطهر إطلاقاً .

فنحن لا نطلب مطلقاً أن يريح الله تلك النفوس من عذاب المطهر ، كأن يقصر مدته ، أو أن يخفف حدته ، أو أن يخرجهم منه ، أو أن يعطيهم احتمالاً له ... !! كلا ، فالصلاة على الراقدين لا تطلب شيئاً من هذا كله ، لأننا لا نؤمن بشيء من هذا كله ... إنما نطلب لهذه النفوس راحة فى مكان الإنتظار، مادامت الدينونة لم تأت بعد .

هذا هو أعتقادنا ، ولا داعى لأن يقوم أحد بتأويل صلواتنا على غير المقصود منها .

وأن ينسب إلينا ما لا نعتقد به . كأن يقول أحد الكتاب الكاثوليك ـ سامحه الله ـ إن طلب النجاة من العذابات الجهنمية « المقصود هنا بالعذابات الجهنمية ـ ما لا يخفى ـ هو العذابات المطهرية ، التى لا فرق بينها وبين العذابات الجهنمية ، إلا فيما عدا أن الأولى دائمة والثانية مؤقتة » *

نحن نقول فى الصلاة على الراقدين « نيحهم فى فردوس النعيم » ، ولا نقول نيحهم فى المطهر !!

ونقول « فى الموضع الذى هرب منه الحزن والكآبة » بينما المطهر هو موضع للحزن والكآبة والتنهد ... ونقول أيضاً عن الراحة الأبدية « فى أورشليم السمائية ، فى كورة الأحياء إلى الأبد » ... أين سيرة المطهر فى كل هذه الصلوات .

عجيب أن هذا المؤلف يريد إثبات المطهر من كتب الصلوات للكنيسة القبطية الأرثوذكسية !! أبعد يا ابنى عن هذا المجال ، فالكنيسة القبطية الأرثوذكسية أدرى بعقيدتها ...

سؤال آخر نحب أن نقدمه فى الصلاة على الراقدين :

أى عزاء تقدمه الكنيسة لأهل الميت فى صلواتها فى يوم وفاته ؟!

إن بولس الرسول لم يرفع صلاة فقط من أجل انيسيفورس ، إنما صلى أيضاً من أجل بيت انيسيفورس أن يعطيهم الرب رحمة (٢تى ١ : ١٦) . ونحن ما هو العزاء الذى نقدمه لأسرة المتوفى ؟ هل نقول لهم إنه يتعذب حالياً فى المطهر . ولكن

اطمئنوا، إننا نصلي أن مدته لا تطول، ونصلي أن عذابه يخف ... ؟! أم نعزيهم بصلوات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية عن تلك النفس: أفتح لها يارب باب الرحمة ... أقبلها إليك ... ولتحملها ملائكة النور إلى الحياة ... ولتتكيء في أحضان آبائنا القديسين أبراهيم واسحق و يعقوب ...

ثم ما فائدة الصلاة على المنتقلين، إن كان الميت يتعذب ؟!

يتعذب أثناء الصلاة، لأن الصلاة عليه لا تكون في لحظة وفاته، بل بعدها بساعات و يتعذب بعد الصلاة أيضاً، اذ تكون مدة عقوبته في المطهر مستمرة ... ! ما شعور أهل المتوفى بقيمة صلواتنا ؟! وما شعور المتوفى نفسه وهو في المطهر؟! هل يعان وقتها لبضع دقائق، ثم يرجع إلى عذابه كما كان ... والحكم هو الحكم ... يستمر فيه حتى يتمم كل القصاص المفروض عليه !!

إن كنيستنا القبطية تقرأ الحلّ على روح الميت أثناء صلاتها.

تحالله من جميع الخطايا التي فعلها وهو في الجسد. وكأنها تقول للرب: هذه النفس خرجت من عندنا، وهي محاللة من جهة الكنيسة. لا نربطها في شيء. وبقي أن نتركها في رحمتك يا فاحص القلوب والأفكار، و يا عارف الخفيات والأسرار... ولكننا مع ذلك نشفع فيها، إذ لبست جسداً، وسكنت في هذا العالم، وأنت يارب «تعرف ضعف ونقص البشرية» وأنه ليس إنسان بلا خطية، ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض ...» ...

فلماذا لا تحنو الكنيسة الكاثوليكية مثلنا على روح الميت، وتحالله ؟! لماذا تجعله يخرج من العالم وهو مربوط من جهة قصاصات لم يقم بوفائها ... ؟!

لماذا تقول له نحاللك من وصمة الخطية، ولا نحاللك من عقوبتها .. ؟! لماذا تتمسك بالعقوبة إلى هذا الحد، الذي يحتاج إلى تطهير وتكفير؟! لماذا لا تثق بدم المسيح الذي «يقدر أن يطهر إلى التمام» (عب ٧ : ٢٥)، لماذا لا تثق بدم المسيح الذي «يطهرنا من كل خطية ... ومن كل إثم» (١يو ١ : ٧، ٩). ما الحاجة بعد إلى تطهير؟!

ألم يقل الكتاب « كلنا كغنم ضللنا ، ملنا كل واحد إلى طريقه . والرب وضع عليه إثمَ جميعنا » (اش ٥٣ : ٦) .

وإن كانت الكنيسة قد أعطت حلاً فى الصلاة على الراقدين ، فإن فكرة المطهر تبطل مفعوله .

وذلك أن الخاطىء بعد حلّ الكنيسة له ، يذهب ليتعذب و يدفع الثمن ! وكأن تحليل الكنيسة بلا قيمة ...! كأنما أحد القضاة حكم بتبرئة متهم ، أو برفض الدعوى أو حفظ القضية . ومع ذلك يقال لهذا المتهم : عليك أن تقضى عشر سنوات فى السجن !! ما قيمة الحكم الذى حصل عليه إذن ؟!

هناك دليل آخر على أن الصلاة على الموتى لا علاقة لها بالمطهر ولا بإعانة النفوس التى فيه ، وهى :

إن الكنيسة تصلى على أرواح الجميع ، حتى عن نفوس القديسين :

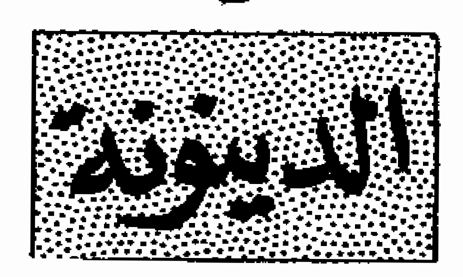
فهى بالإضافة إلى صلاة الجناز ، تصلى لأجل الجميع وتقول «أولئك الذين أخذت نفوسهم يارب نيحهم فى فردوس النعيم . وتصلى أيضاً عن أرواح القديسين ، ثم تقول بعد ذلك «بركاتهم المقدسة فلتكن معنا آمين»... إنها شركة بين الذين أنتقلوا والذين على الأرض ...

ملاحظة أخرى نضيفها وهى أن الكنيسة لا تصلى لأجل الهالكين .

وذلك عملاً بقول الرسول عن الخطية التى للموت (١يو٥ : ١٦) . فإن مات إنسان منتحراً ، ولم يكن فاقد العقل ، لا نصلى عليه . وإن مات أحد أثناء ارتكابه جريمة ، لا نصلى عليه . كذلك إن مات وهو فى هرطقة أو بدعة أو ارتداد ... أو إن مات وهو فى خطية لم يتب عنها ...



١١



يعتقد أخوتنا الكاثوليك بدينونة خاصة بعد الموت مباشرة :

وهي غير الدينونة العامة التي بعد قيامة الأجساد ...

فيرون أن الإنسان بعد موته مباشرة يقف أمام الله لينال الحكم : إما أن يكون شريراً فيذهب مباشرة إلى جهنم ، أو يكون باراً فيذهب مباشرة إلى السماء ، أو أنه يكون باراً ولكن عليه ديناً للعدل الإلهي ، فيذهب إلى المطهر ، لتتطهر نفسه ، و يكفر عن خطيته و يوفي ديونه ... ولكننا نقول إنه :

لم يذكر الكتاب سوى الدينونة العامة . وسنحاول أن نفحصها معاً لنرى على أي شيء تدل :

يشرح الرب خبر الدينونة فيقول :

« **ومتى جاء إبن الإنسان في مجده** ، وجميع الملائكة القديسين معه [أي في مجيئه الثاني] ، فحينئذ يجلس على كرسي مجده ، ويجتمع أمامه جميع الشعوب . **فيميز بعضهم من بعض** ، كما يميز الراعي الخراف من الجداء ، فيقيم الخراف عن يمينه ، والجداء عن اليسار . ثم يقول الملك للذين معه : تعالوا إليَّ يا مباركي أبي ، رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم ، لأني جعت فاطعمتموني ، عطشت فسقيتموني ... فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين : يارب متى رأيناك جائعاً فأطعمناك ؟ أو عطشاناً فسقيناك ... فيجيب الملك و يقول لهم : الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد أخوتي الصغار فبي فعلتم » ...

« ثم يقول للذين عن اليسار : اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدّة لإبليس وملائكته » (متى ٢٥ : ٤١) .

★ **وعبارة « اذهبوا إلى النار المعدة لإبليس ، معناها أنهم لم يكونوا قد ذهبوا إليها بعد ». لأنه من غير المعقول أن يكونوا قد ذهبوا إلى هذه النار بعد الدينونة الخاصة ، ثم يخرجهم الرب منها يوم القيامة ليختلطوا بالأبرار. ثم يفرزهم عنهم، ويوقفهم عن يساره، ويعود فيقول لهم «اذهبوا إلى النار...» !!**

★ نلاحظ أيضاً أنه بدأ يقول لهم حيثيات حكمه : «لأنى جعت فلم تطعمونى ، عطشت فلم تسقونى . كنت غريباً فلم تأوونى... إلخ» حينئذ يجيبونه هم أيضاً قائلين «يارب متى رأيناك جائعاً أو عطشاناً أو غريباً أو عرياناً أو مريضاً أو محبوساً ، ولم نخدمك ؟» فيجيبهم قائلاً : الحق أقول لكم : بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر ، فبى لم تفعلوا» (متى ٢٥ : ٤٢ - ٤٥) .

هنا نرى لوناً من المحاكمة ، وحواراً وفرصة للدفاع عن النفس .

ثم ينفذ الحكم بعد ذلك « فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدى ، والأبرار إلى حياة أبدية » (متى ٢٥ : ٤٦) . ومعنى هذا أنه لم تكن محاكمة من قبل... بدليل أن الأبرار ما كانوا يعلمون ، ولا الأشرار كانوا يعلمون ، معنى حيثيات الحكم ، بدليل أنهم سألوا الرب «متى يارب رأيناك ...؟ والرب بدأ هنا (بعد القيامة) يشرح لهم ذنوبهم ، وما كانوا قبلاً يفهمون...

فإذا كان المضى إلى العذاب الأبدى ، وإلى الحياة الأبدية ، يكون بعد القيامة والفرز والمحاكمة، فكيف يقال إنه بعد الموت مباشرة، فى دينونة خاصة ؟!

٢ - وكون الدينونة تكون بعد القيامة واضح من قول الرب :

« تأتى ساعة ، فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته ، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة » (يو ٥ : ٢٨ ، ٢٩) .

إذن هنا قيامة عامة ، ولا يذهبون إلى الحياة أو إلى الدينونة إلا بعدها...

بعد أن تتحد الأرواح بالأجساد التى تخرج من القبور ، ويقف الإنسان كله أمام الله... وهناك شاهد آخر على هذا وهو :

٣ - يقول الرب « فإن إبن الإنسان سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته. **وحينئذ يجازى كل واحد بحسب عمله** » (متى ١٦ : ٢٧).

وعبارة « حينئذ يجازى » معناها أنه لم يجازهم من قبل، وإنما حينئذ، حينما يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته.

٤ - هذه المجازاة فى المجىء، هى جزء من قانون الإيمان النيقاوى :

وهو قانون الإيمان الذى تؤمن به جميع الكنائس، وفيه نقول عن المجىء الثانى للسيد الرب : « يأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات ».

٥ - نفس المعنى نراه فى تفسير الرب لمثل الزوان، إذ يقول :

« الحقل هو العالم، والزرع الجيد هو بنو الملكوت، والزوان هو بنو الشرير... والحصاد هو إنقضاء العالم. والحصادون هم الملائكة ».

« ... هذا يكون فى إنقضاء العالم، يرسل إبن الإنسان ملائكته، فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلى الإثم، ويطرحونهم فى أتون النار» (متى ١٣ : ٣٨- ٤١).

أى أن هذه الدينونة تكون عند إنقضاء العالم. والأشرار يطرحون فى أتون النار فى أنقضاء العالم، وليس بعد الموت مباشرة... وكلمة « يجمعون » معناها يأتون بهم من كل مكان... وماذا عن الأبرار؟ يتابع الرب شرحه فيقول : « **حينئذ** يضيء الأبرار كالشمس فى ملكوت أبيهم. من له أذنان للسمع فليسمع ».

وعبارة حينئذ، أى فى ذلك الوقت، فى إنقضاء العالم، فى الدينونة العامة، وليس بعد الموت مباشرة... « ومن له أذنان للسمع فليسمع ».

٦ - يشبه هذا أيضاً ما ورد فى رسالة يهوذا الرسول :

« وتنبأ عن هؤلاء أيضاً أخنوخ السابع من آدم قائلاً : هوذا قد جاء الرب فى ربوات قديسيه... **ليصنع دينونة على الجميع... ويعاقب** جميع فجارهم على جميع أعمال فجورهم... وعلى جميع الكلمات الصعبة... إلخ » (يه ١٤ : ١٥).

إذن هؤلاء لم يكونوا قد عوقبوا قبلاً ، وإنما سيعاقبون حينما يأتى الرب فى ربوات قديسيه ليصنع دينونة على الجميع... على هؤلاء الفجار وعلى غيرهم...

٧ ـ ومن الآيات الواضحة فى هذا المجال قول بولس الرسول :

« لأنه لابد أننا جميعاً نظهر أمام كرسى المسيح ، لينال كل واحد ما كان بالجسد ، بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً » (٢كو٥ : ١٠) .

فلا يمكن أن تقف الروح وحدها ، لكى تنال جزاء ما كان بالجسد ، خيراً كان أم شراً.

إذن لابد من الوقوف أمام كرسى المسيح ، بعد أن تتحد الروح بالجسد . وعبارة «أننا جميعاً ، تعنى الدينونة العامة .

وهنا نود أن نقول بعض ملاحظات عما يسمونه (الدينونة الخاصة) :

٨ ـ ما لزوم الدينونة العامة ، بعد الدينونة الخاصة ؟

إن كان الخاطىء ـ فى الدينونة الخاصة ـ قد صفى حسابه ، وأخذ عقابه أو ثوابه ، فما لزوم الدينونة العامة بالنسبة إليه ؟!

مادام الإنسان قد وقف أمام الله ونال دينونته ، البار ذهب إلى السماء ، والشرير ذهب إلى جهنم ، وأنتهى الأمر... فما لزوم الدينونة العامة إذن؟ وما هدفها ؟ وما قيمتها ؟ وما تأثيرها على تلك النفوس ؟... ولكن تكون لها قيمة ، إن كانت هى الدينونة الوحيدة التى يتقرر فيها مصير الإنسان

٩ ـ ومن الآيات الواضحة فى الدينونة ، ما ورد فى سفر الرؤيا :

« ثم رأيت عرشاً عظيماً أبيض ، والجالس عليه الذى من وجهه هربت الأرض والسماء ولم يوجد لهما موضع» [هذا عن نهاية العالم طبعاً] «ورأيت الأموات صغاراً وكباراً واقفين أمام الله . **وأنفتحت أسفار،** وأنفتح سفر آخر هو سفر الحياة. ودين الأموات مما هو مكتوب فى الأسفار بحسب أعمالهم. وسلم البحر الأموات الذين فيه، وسلم الموت والهاوية الأموات الذين فيهما. ودينوا كل واحد بحسب أعماله . وطرح الموت والهاوية فى بحيرة النار ... (رؤ٢٠: ١١ـ ١٥)

كيف توجد دينونة قبل أن يقف كل الأموات أمام الله ، وقبل أن يسلم البحر والهاوية الأموات الذين فيهما ؟! وقبل أن تفتح الأسفار وتكشف الأعمال ؟

١٠ - والقديس بولس الرسول يتكلم عن الدينونة فى المجيء الثانى واستعلان ربنا يسوع المسيح ، فيقول :

« إذ هو عادل عند الله أن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً ، وإياكم الذين تتضايقون راحة معنا ، عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته ، فى نار لهيب ، معطياً نقمة للذين لا يعرفون الله ... الذين سيعاقبون بهلاك أبدى » (٢تس ١ : ٦- ٩).

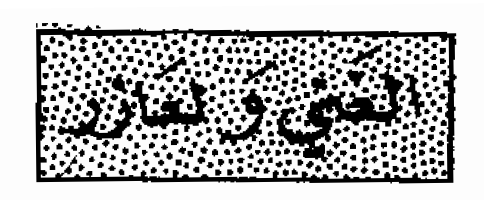
فكيف نقول إن الدينونة تكون بعد الموت مباشرة ، على الرغم من كل هذه الآيات الصريحة ؟!

١١ - وأيضاً لا يتفق العقاب بعد الموت مباشرة ، مع قول بولس الرسول « ... ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب ، تدخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة الذى سيجازى كل واحد بحسب أعماله » (رو٢ : ٥ ، ٦) .

وهنا يتكلم عن المجازاة فى يوم الغضب ، يوم الدينونة .

١٢ - وأيضاً هذه الدينونة التى بعد الموت ، ويكافأ فيها الأبرار ، كما يعذب الأشرار ، لا تتفق مع كلام الكتاب عن الأكاليل حيث يقول القديس بطرس الرسول للرعاة « صائرين أمثلة للرعية . **ومتى ظهر رئيس الرعاة** ، تنالون اكليل المجد الذى لا يبلى » (١بط ٥ : ٣ ، ٤) .

وكذلك قول بولس الرسول عن اكليل البر الموهوب له . قال « وأخيراً وضع لى إكليل البر ، الذى يهبه لى **فى ذلك اليوم** الرب الديان العادل ، وليس لى فقط ، بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً » (٢تى ٤ : ٨) .



الغني ولعازر

يستدل بعض أخوتنا الكاثوليك على الدينونة الخاصة من قصة الغنى ولعازر، وقول السيد المسيح إن لعازر كان يتعزى فى حضن ابراهيم. وأن الغنى «رفع عينيه فى الهاوية وهو فى العذاب ... وقال «يا أبى ابراهيم ارسل لعازر ليبل طرف إصبعه بماء و يبرد لسانى، لأنى معذب فى هذا اللهيب» (لو١٦ : ٢٤)...

ونحن نناقش معاً هذه القصة :

١ ـ يجمع الكثير من المفسرين على أنها قصة رمزية :

قالها السيد المسيح ليحض الأغنياء على عدم التمتع فى الأرض، وترك الفقراء والمساكين محتاجين. وإلا فإن المسكين سيتعزى فى السماء، بينما يتعذب الغنى الشحيح

٢ ـ ومن الدلالة على ذلك حاجة الغنى إلى قطرة ماء ليبرد لسانه فى ذلك اللهيب.

فالمفروض أن جسد الغنى كان فى القبر، وروحه هى التى كانت فى الهاوية. والروح غير مادية، ولا يمكن أن يصلح لنا أن يبل لعازر طرف إصبعه بماء لكى يبردها فى ذلك اللهيب!! ثم ما معنى كلمة «يبرد لسانى» حيث لا يوجد له جسد، ولا لسان ؟!

لعل هذه النار، هى عذابه النفسى، إذ شعر بالضياع والهلاك، بلا رجاء...

بدليل أنه طلب من أجل أهله، حتى لا يتعذبون هم أيضاً، ولم يطلب من أجل نفسه، وبخاصة بعد أن أعلن له أبونا ابراهيم قائلاً «وفوق كل ذلك بيننا وبينكم هوة عظيمة قد أثبتت حتى أن الذين يريدون العبور من ههنا إليكم لا يقدرون، ولا الذين من هناك يجتازون إلينا» (لو١٦ : ٢٦).

أو لعل النار التى قال الغنى إنه معذب بلهيبها هى نار الندم أو الخوف، إذ لا توجد أمامه فرصة لتغيير وضعه. أما الهوة المثبتة فهى هوة اليأس...

إذ هو شاعر أنه لا رجاء له . أما أبونا ابراهيم فله رجاء فى الخلاص . ولذلك تنطبق عليه عبارة «فرحين فى الرجاء» (رو١٢: ١٢)... وهنا لعلنا نسأل عن المعنى الرمزى أيضاً لقول الغنى «لأن لى أخوة خمسة» (لو١٦: ٢٨).

٣ـ الرقم خمسة كما يقول القديس أوغسطينوس يرمز للبشر .

فالخمس العذارى الحكيمات يرمزن إلى كل البشر الأبرار ، والخمس العذارى الجاهلات يرمزن إلى كل البشر الخطاة . ورقم خمسة يتميز به الإنسان فى حواسه الخمسة ، وفى أطرافه (أصابع يديه وقدميه)...

فكأن الغنى الهالك ، يتكلم عن كل البشر الهالكين ، أو كل أقاربه وأحبائه حتى لا يهلكوا هم أيضاً...

٤ـ الغنى فى هذا المثل يرمز إلى الهالكين الذين لا رجاء لهم . فلا علاقة له إذن بالمطهر، حسب المعتقد الكاثوليكى .

ولكن عذابه لم يحن موعده . فالألم من خوف العقوبة الأبدية شيء ، ومكابدة هذه العقوبة الأبدية شيء آخر . هو فى مكان أنتظار سيخرج منه فى يوم الدينونة الرهيب إلى العذاب الأبدى ، إلى البحيرة المتقدة بالنار والكبريت .

فما هو فيه ليس هو الدينونة ، إنما الخوف من الدينونة .

٥ـ حينما ذكر السيد المسيح هذا المثل ، لم يكن الخلاص قد تم ، ولم يكن أبونا ابراهيم قد دخل الفردوس بعد . كان من الراقدين فى الهاوية على رجاء ...

وظل هكذا إلى أن تم صلب المسيح ، « ونزل إلى أقسام الأرض السفلى ، وسبى سبياً وأعطى الناس عطايا » (أف٤: ٨، ٩) . ونقل هذه النفوس إلى الفردوس ... ومنهم أبونا ابراهيم ولعازر المسكين .

فكل الآباء قبل الصلب كانوا منتظرين فى الهاوية ، كما قال الرسول «فى الإيمان مات هؤلاء أجمعون ، وهم لم ينالوا المواعيد ، لكنهم نظروها من بعيد وصدقوها وحيوها ...» (عب١١: ١٣)... كانوا منتظرين خلاص الرب . وفى ذلك الوقت لم يكن ابراهيم فى النعيم الأبدى . وقد أنتقل بعد الصليب إلى الفردوس ...

على أن الفردوس أيضاً ، هو مكان أنتظار ، سينتقل منه أبونا ابراهيم إلى النعيم الأبدى ، إلى أورشليم السمائية .

أما الآن فإن « كل الخليقة تئن وتتمخض معاً » حتى الرسل الذين لهم باكورة الروح (رو٨: ٢١- ٢٣). «منتظرين التبنى فداء أجسادهم»، هذا الذى يتوقعونه بالصبر (رو٨: ٢٥). هؤلاء الأبرار هم محروسون بإيمان...

« لخلاص مستعد أن يعلن فى الزمان الأخير » (١بط ١ : ٥) .

حينما نقام فى مجد ، وفى قوة ، و يلبس هذا الفاسد عدم فساد (١كو١٥: ٤٣- ٤٩)

* * *

٦ - على أن هذه القصة - من ناحية أخرى - تدل على ٣ أمور هامة :

أ - أن هناك مكانين فقط : أحدهما للعزاء ، والآخر للعذاب ، ولا ثالث لهما .

ب - أنه لا يمكن أن ينتقل الإنسان بعد الحساب من مكان إلى آخر، حسب قول أبينا ابراهيم (لو١٦: ٢٦).

ج - أنه لا شفاعة ترجى بعد صدور الحكم الإلهى .

وكل هذه الأمور الثلاثة ضد المطهر ...

* * *

القصة إذن رمزية ، ولا تدل على دينونة خاصة .

٧ - أما إذا كان الإنسان بعد الموت « أعماله تتبعه » (رؤ١٤: ١٣) و يبدأ أن يحس بأنه ضائع ، إذ تقف خطاياه أمامه تزعجه ... أو يحس براحة فى الضمير وثقة

فهذا أحساس للنفس ، وليس دينونة ...

كتلميذ يخرج من أداء الامتحان ، وهو فرح واثق بنجاحه ، إذ قد أجاب حسناً . وتلميذ آخر يخرج وهو يبكى ، متأكد من رسوبه . ومع ذلك يبقى الاثنان فى أنتظار النتيجة . ولا يعتبر أحد منهما أنه نجح أو رسب ، إلا بعد إعلان النتيجة .

ونحن نصلى لأجل الذين أنتقلوا من عالمنا ، لأن النتيجة لم تعلن بعد . وهم لا يزالون فى مكان الإنتظار...

* * *

الفهـرسـت

صفحة


في هذا الكتاب
بسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين
هذا الكتاب جزء من الحوار اللاهوتي مع أخوتنا الكاثوليك.
ناقشنا فيه بكل محبة وموضوعية عقيدة المطهر عند الكاثوليك كما تبدو من كتبهم...
الفصل الأول خصصناه لعقيدة المطهر. ثم بحثنا هذه العقيدة وعلاقتها بعقائد أخرى أساسية، مثل الخلاص، بالفداء والكفارة، وعلاقته بالكهنوت وسر التوبة، وبالمغفرة عامة.
ثم تناولنا آيات الكتاب التي اعتمد عليها الكاثوليك، وناقشنا مفهومهم لها، مع تقديم التفسير السليم.
وتعرضنا لموضوع الغفرانات، والعقوبات الكنسية، والعقوبة الأرضية، وعقوبة الخطايا العرضية، والتطهير بين التطهير والتكفير، وعقوبة الروح والجسد، ومعنى الدينونة، وموعدها، وكلام الكتاب عنها، وكذلك الصلاة على المنتقلين.
مع أمور تتعلق بالموضوع.
البابا شنوده الثالث
٥٠٠ قرش